الدكتور محمد شامة

الخطر الشيوعي في بلاد الإسلام

ملتزم الطبع والنشر
مكتبة شامة
القاهرة ـ ميدان حلمية الزيتون
برج الفهيم
ت : ٢٤٧٥١٨٩

الطبعة الثانيــة

١٤١٠ هـ ــ ١٩٩٠ م

بسم الله الرحمن الرحيم

« ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هـدى اللـه أن يؤتى أحـد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عنـد ربكم قل ان الفضـل بيد اللـه يؤتيه من يشـاء والله واسـع عليم » .

(صدق الله العظيم)

الإهـــداء

الى أرواح الشـــهداء الذين ســقطوا فى الميــــدان بأيــدى المـــاركسيين وأعــوانهم الــذين اغتصـــبوا الحـــكم فى العــــالم الاســـلامى .

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

سيطرت الدعاية الماركسية على كثير من قطاعات المجتمعات الانسانية منذ ما يقرب من سبعين عاما ، وكان من أشد الفئات تحمسا لها طبقة العمال ، حيث خدعتهم الدعاية البراقة بأن النظام الماركسى سوف يحقق لهم الرخاء ، ويخلصهم من سيطرة أصحاب رءوس الأموال ، كما سيحررهم من طبقة البرجوازيين ـ حسب التعبير الذى كان يردده دعاتها صباح مساء ـ ، ومن سدنة الحكم ، وتجار السياسة • فكثيرا ما سمعنا من أبواق الماركسية عن الحرية السياسية ، وعن الديمقراطية الشعبية ، التى سوف تتحقق للشعب بسيادة المبادىء الماركسية فى المجتمع ، تلك المبادىء التى تقوم على تأميم رأس المال ليتحرر العمال فى المصانع ، والأجراء فى الأراضى الزراعية من سيطرة الاقطاعيين وأصحاب رءوس الأموال ، فيصبحوا أحرارا فى الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات العامة ، كما أن رفع مستوى المعيشة لن يتحقق الا فى ظل الملكية العامة ، التى تسعى الشيوعية الى تحقيقها •

لكن واقع المجتمعات التى سيطرت الأحزاب الشيوعية فيها على مقاليد الحكم أظهر للراقبين المحايدين ، والمحللين المنصفين أن ديكتاتورية الحزب الشيوعى أشد قسوة من قوانين نظم الحكم الأخرى ، وأن للحرية وجودا أكثر وضوحا فى خارج النظام الماركسى ، وأن مستوى معيشة العمال ـ الذين تحمسوا للشيوعية أكثر من غيرهم ـ أسوأ بكثير من مستوى زملائهم فى المجتمعات غير الشيوعية •

وقد دللنا على ذلك بظواهر من داخل الاتحاد السوفييتى ، حيث :

ـ نشر النظام الماركسى الرعب والخوف لدى الأفراد ، حتى أصبح

الانســان لايطمئن الى صــديق ، أو أخ ، فأجهزة المخابرات جندت الصديق للتجسس على صديقه ، والأخ على أخيه •

ـ وتجــسم الفقر فى أعين الموطنين ، وظهرت التعاســة واضحــة على ملامحهم ، وكان مما قلناه حرفيا فى هــذا الكتاب :

« لن يزول الفقر والجوع الذى تقاسيه الشعوب التى يحكمها النظام المــاركسى ، الا بزوال هذا النظام ، لأنهما متلازمان ، فحيثما وجــد الحكام الشيوعيون ، وجد معهم الحرمان ، وينبغى ألا نخدع بتحليل أبواق الدعاية « المــاركسية » : بأن ذلك ظرف طارئ سيزول ، أو أن الظروف الدولية كانت السبب ••• أو ••• أو ••• الخ ، لأن حرمان جماهير الشعب من طبيعــة النظام نفســه ، وليس من شئ خارج عنــه » (١) •

فانتفاضة شعوب أوربا الشرقية فى أواخر عام ١٩٨٩ م تأكيد لمــا قلناه فى هــذا الكتاب قبل أكثر من عشرة أعوام ، فقد حملت الينا وكالات الأنباء نماذج صارخة لكبت واستغلال الحزب الشيوعى لهذه الشعوب ، كما أوضحت مدى الفقر والحرمان ، الذى تسبب فيــه تطبيق النظام الماركسى فى مجال توزيع الثروة وادارتها ، مما جعل المخدوعين يتنبهون ، فيدركوا أن الوعد بغد أفضل ، لم يكن الا سرابا ، وأن الأمل فى تحقيق التحرر من سيطرة الاقطاعيين والرأسماليين تبدد ، فسيطرة كوادر الحزب على وســائل الانتاج خلفت آثارا سيئة على الفرد ، مما جعل وضع العامل ــ بل كل أفراد الشعب خارج كوادر الحزب ــ يصير أكثر سوءا من وضع زميله داخل النظم المغايرة •

وقــد كان ادراكنا لهــذه الآثار قبل عشرين عاما ، وحرصنا على توضيحها للمسلمين حتى لا ينخدعوا بهذه الشعارات البراقة ، هو الذى دفعنا الى :

---

(١) ص ٧٩ •

ــ ترجمة كتاب : « الاسلام قوة الغد العالمية » فى عــام ١٩٧٣ م ، حيث تناول فيه مؤلفه القاء الضوء على محاولات النظام الشيوعى اختراق العالم الاسلامى •

ــ وترجمة كتاب : «حقائق عن نظام الحكم الشيوعى» الذى وضحت فيه أساليب الحــكم الشيوعى ، بمــا فيها من كبت واستغلال للفرد والجماعة ، وتمييز لكوادر الحزب على أساس الولاء للنظام ، بصرف النظر عن امكاناتهم فى مجال خدمة الأمــة ••••

وذلك كى لا ينخدع المسلمون بهذه الشعارات البراقة ، فيجرون وراءها ، سعيا لتطبيق النظام فى مجتمعاتهم ، فيصيبهم مثل ما أصاب تلك الشعوب التى ساقها قدرها بعد الحرب العالمية الثانية الى الوقوع فى براثن النظام المــاركسى •

وعلى الرغم من اسهامات المفكرين المسلمين فى هذا المجال ــ تارة ببيان متناقضات الفكر الماركسى ، وأخرى بتحذير المسلمين حتى لا يقعوا فى براثن هذه الدعاية ، فيفقدوا حريتهم ودينهم ، فضلا عن حرمانهم من متاع الدنيا وزينتها ــ ، فقد تحمس جم غفير فى العالم الاسلامى لهذه الأيديولوجية ، وطالبوا بتطبيقها فى المجتمعات الاســلامية ، ضاربين الصفح عن مناوأتها للدين بوجه عــام ، وللاسلام بصفة خاصة ، لأنها ستحقق لهم الرخاء ــ هكذا اعتقدوا ــ وتؤمن لهم الاستقلال • ولكن لم يحدث شىء من هذا فى الأقطار التى سيطر فيها المــاركسيون ــ أو الاشتراكيون كما يسمون أنفسهم فى العالم الاسلامى ــ ، بل ازدادت حدة الفقر سوءا ، واختفى ما بقى من معالم الحرية ، فلم يعد أحــد يستطيع أن يعبر عن رأيه فى أى مجال من مجالات الحياة ، حتى ولو كان الأمر يتعلق بالأمور الخاصة ، التى لا صلة لها من بعيد أو قريب بالنظام السياسى ومــا يتعلق بــه ، فالأفواه لا تفتح الا لأكل الفتات ، وشرب ما يتبلغ به من سوائل عطنة ، بمــا فيها من زفرات المكبوتين ، وجرائيم الجلادين • وان فتح فتح فم ، فلا يكون الا للتسبيح بحمد الطغاة ، والاشادة بعبقرياتهم ــ التى لم تكن يوما ما لنبى ولا لعبقرى بز أقرانه

فى عالم الابداع والابتكار — فى مجال الحكم والادارة ، والتغنى بتوجيهاتهم فى كل فن وعلم ، وسديد رأيهم فى كل قرار ، حتى ولو ترتب عليه خراب الذمم ، وهلاك الديار •

كان من الطبيعى أن يطرح المسلمون هذه الأيديولوجية جانبا ، بعد ما ظهر عوارهـا ، وبان قبحها فى أقطار أوربا الشرقية ، فقد أظهرت الانتفاضات الشعبية فى تلك الأقطار ما قامت عليه الشيوعية من هيكل متهالك ، ونسيج غير منسجم ، ومبادىء لا تصلح فى عالم السياسة والحكم ، ولا تفيد فى مجال الاقتصاد وتنمية الثروة ، ولا تحقق العدالة بين المواطنين ، فهى عاجزة عن حماية المواطن من استغلال كوادر الحزب ، وغير قادرة على تأمين حياة الفرد اقتصاديا وسياسيا واجتماعيا •••

لكن على الرغم من ظهور هذه السوآت كلها ، بالاضافة الى ما ظهر فى بنيانها من تصدع فى موطنها الأم ، وهو الاتحاد السوفييتى ، فقد سمعنا اليساريون فى العالم الاسلامى يصرحون علنا بأن ما يجرى فى تلك الأقطار لن يؤثر على مسارهم الفكرى ، وتوجهاتهم العقائدية ، بل ان رئيس احدى الدول العربية صرح بأن النظام الاشتراكى فى بلده لن يتغير ، وسيظل كما هـو ، على الرغم مما يحـدث فى شرق أوربا من تحولات ، وما يجرى فى الاتحاد السوفييتى من تعديلات •

ولهذا ينبغى علينا ألا نفرط فى التفاؤل ، فنعتقد أن ما حدث فى دول أوربا الشرقية هو نهاية النظام الماركسى ، وسـوف يسدل الستار الى الأبد على مسرحية الشيوعية فى عالمنا العربى والاسـلامى ، اذ لازال هناك من لايزالون متمسكين بها دون تعديل ، كما فى الصين وكوبا ، وفى عقول المتطرفين فى أنحاء عدة من أقطار العالم ، ومنهم من يجرى فيها بعض التعديلات ولا يلغيها ، كما يحدث فى الاتحاد السوفييتى • ومن هنا فالمعركة لم تنته بعد ، حتى وان اختفت الشيوعية بنظامها الحـالى من المسرح العالمى ، فسـوف تخرج أفكار أخرى ، تحاول تغيير نظم الحياة فى المجتمعات الانسانية ، على نحو يتناقض مع طبيعة الانسـان روحيا وماديا ، وربما تتفق مع الشيوعية فى المضمون والهدف ، ولا تختلف

معها الا فى الاسم ، فالمجتمعات الواعية هى التى تفتح أعينها ، وتشحذ أذهانها ، لتعى الماضى بدروسه وتجاربه ، وتدرك الحاضر بأحداثه وشواهده ، وتترقب المستقبل بارهاصاته ومعالمه ، فكل فرد فيها يتعلم من الماضى ، ويفهم الحاضر فهما علميا بعيدا عن العاطفة والحساسيات ، ويهيىء نفسه للمستقبل على أساس معطيات الماضى والحاضر .

وانطلاقا من هذا التصور أقدم للقارىء كتاب : « الخطر الشيوعى فى بلاد الاسلام » فى طبعته الثانية ، اسهاما فى اعداد المواطن لمواجهة خطر هذه الأفكار ، حتى يحصن نفسه بالعلم والتجربة ، ويعى ما يحدث للآخرين من جراء هذه الأيديولوجيات ، ليصبح عضوا صالحا يخدم وطنه وأمته .

والله الهادى الى سواء السبيل ،

الدوحة فى ٢١ من شعبان ١٤١٠ هـ

١٨ من مارس ١٩٩٠ م

محمد عبد الغني شامة

مقـــدمة الطبعة الأولى

عندما اتسعت الفتوحات الاسلامية ، ورفرفت راية الاسلام على مملكتى كسرى وقيصر ، دخل النــاس فى دين الله أفواجا ، يحملون معهم أفكارهم وعقائدهم السابقة ، لأنهم لم يعيشوا قبل الاسلام فى فراغ عقلى . فقد كان لهم تراث دينى ــ أيا كانت قيمته فى نظر الاسلام ــ وأفكار فلسفية حول طبيعة الوجود ، لا تتفق مع تعاليم الاسلام .

لم تختف هذه الأفكار الدينية والفلسفية عقب الفتح مباشرة ــ ولو حدث لكان ذلك نقضا لسنة التطور والتحـول الفـكرى فى المجتمعات الانسانية ــ بل كانت وقودا للمعارك الفكرية . التى اشتعلت فى المجتمع الاسلامى ، وظلت نارها متأججة شرقا وغربا عدة قرون ، مما دفع كثيرا من العلماء آنذاك الى دراسة الفكر الأجنبى واستيعابه ، ليكون أقدر على الدفاع عن الاســلام ضــد هذا الفكر الدخيل ، اذ كلما ازدادت معرفة العالم بما عند الخصم من أفكار وحجج وبراهين ، كلما كان دفاعه مقبولا عقليــا ونفسيا واجتماعيا ، فالغزالى ــ على سبيل المثال ــ لم يكن ليستطيع أن يكتب تهافت الفلاسفة ــ وهو كتاب له وزنه فى الأوساط الفكرية ــ لو لم يدرس الفلسفة دراسة فهم واستيعاب واحاطة .

فالصراع الفكرى هو احدى ظواهر المجتمع الانســانى ، وعامل من عوامل تقدمه ورقيه ، لو اتجه وجهة بناءة ، ولم ينحرف الى حافــة التدمــير والتخريب .

ولا يخلو منه مجتمع بشرى ، لأنه عصب وجــوده ، والقلب الذى يدفع بدم الحياة فى شرايينه ، ولذا ينبغى ألا يقــابل بالاستنكار والوعيد بكبته ، والقضاء على من يحمل رايته ، بل بمحاولة فهم آراء المخالفين والرد عليها بهدوء ، وتبصير من خــدع بالشعارات البراقة ، والعبارات الرنانة ، والأخذ بيدهم الى الطريق المستقيم .

تختلف طبيعــة الصراع الفــكرى موضــوعا وأســلوبا من عصر لآخر فهى :

ـ تتلون تبعا لمنابع الثقافة •

ـ وتتشكل تحت تأثير تيارات الفكر الأجنبى •

ـ وتهدأ أو تثور ـ الى درجة التطاحن ـ نتيجة لعوامل سياسية واجتماعية •

ومن لم يدرك هذه الطبيعة ، فلن يستطيع القيام بمهمة الداعية ، الذى يتصدى للفكر الدخيل ، فيبين جوانبه السلبية ، وآثاره المدمرة فى المجتمع ، لأنه اذا لم يقف على دقائقه عجز عن مقاومته •

ولهذا رأيت ـ حين طلب منى أن أكتب بحثا عن « الخطر الشيوعى فى بلاد الاسلام وكيفية مقاومته للمؤتمر العالمى لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ، الذى سيعقد فى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة فى المدة من ٢٤ الى ٢٩ صفر ١٣٩٧ هـ ـ أن أبين من الناحية النظرية :

ـ منابع فلسفة « ماركس » •

ـ وطبيعة هذه الفلسفة •

ومن الناحية التطبيقية :

ـ التناقض بين الدعاية الشيوعية ، وطبيعة النظام الماركسى فى البلاد الشيوعية •

ـ أساليب ومناورات الاتحاد السوفييتى ـ بوصفه زعيم المعسكر الشيوعى ـ فى العالم الاسلامى مع الحكومات وبين صفوف الجماهير •

والله أسأل أن يوفقنا ويهدينا سواء السبيل •

الرياض فى ٢٧ من ذى الحجة ١٣٩٦ هـ

١٨ من ديسمبر ١٩٧٦ م

محمد عبد الغنى شامة

تمهيـــــد

يمتد تاريخ الالحاد فى المجتمعات البشرية رأسيا وأفقيـا • فمنذ أن بدأ الانســان يفكر فيمـا حـوله من مظاهر الطبيعة ، كان الالحاد أحـد الامكانات العقلية ، التى تبناها حين أراد أن يفسر أسرار الكون • ولم يقتصر هـذا التصور ـ تجاه الكون ـ على طبقة معينة من طبقات المجتمعات الانسـانية ، اذ ظهر الالحـاد عنـد الانسـان البسيط ، الذى لم ينل حظا وافرا من الثقافة ، كما اعتنقه فريق من كبار الفلاسفة والمفكرين فى كل عصر وجيل •

لا يخلو عصر أو مجتمع من وجـود ملحـدين ـ سـواء كانوا منكرين لوجـود اللـه أو مشركين معه فى العبـادة الها غيره ـ تنكروا للفطرة التى فطر الله النـاس عليها ، فأنكروا وجـود الله أو أشركوا معه الها غيره ، الا أن هـذا التيار الالحادى لم يأخـذ شـكل ظاهرة اجتماية فى أى مجتمع ، الا فى الفترات التى يتعرض لها المجتمع لتيارات أخرى ، تضعف الوازع الدينى عند النـاس ، وتخلخل الاعتقاد فى الله الواحـد ، فيقع الأفراد ـ زرافات ووحـدانا ـ صرعى السموم التى يبثها الملحدون ـ وهم قلة ـ فى المجتمع ، مستخدمين فى ذلك الامكانات المـادية والبشرية ، التى سيطروا عليها فى لحظة غفل فيها أرباب التوحيد عن القيام بمـا يجب عليهم نحـو ربهم ومجتمعهم ، الذى يؤمن باللـه الواحـد القهـار •

عندما يصبح الالحاد ظاهرة اجتماعية ، ويطغى صـفير الملحدين على صوت المؤمنين فى المجتمع ، وتشتد الوطأة على من يتمسك بعقيدة الايمـان باللـه ، ويختلط الأمر على أصحاب العقول ، فيحسبون أن الأرض وما عليها ستظل فى قبضة زعماء الالحاد ، ومن يدور فى فلكهم من المنافقين المرجفين فى جنبـات المجتمع ، والدجالين أصحاب المنافع

المادية الذين رضوا بالحياة الدنيا وما فيها من متاع وشهوات ، فباعوا دينهم بثمن بخس ، عندئذ يرسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليطمئن المستضعفين المتمسكين بدينهم ، بأن الله لن يضيع جهادهم فى سبيله ، ويبين للحيارى الطريق المستقيم ، ويدعو أرباب الفكر الى الاقلاع عن غيهم وفسادهم ، والانضمام الى فريق الايمان الذى يعبد الله وحده •

كان من الطبيعى أن يشتد الجدل بين رسل الله وبين الملحدين ، لأنهم رأوا أن هذه الدعوة خطر على ملكهم وجاههم ، وأنها ستضع حدا لاستغلالهم ، اذ تحرم عليهم أكل أموال الناس بالباطل ، وتسوى بينم وبين الآخرين فى الحقوق والمعاملات • وقد قص القرآن كثيرا من صور الحوار التى دارت بين رسل الله وقومهم ، منها قوله تعالى :

﴿ قال فرعون وما رب العالمين ● قال رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين ● قال لمن حوله ألا تستمعون ● قال ربكم ورب آبائكم الأولين ● قال ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون ● قال رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون ● قال لئن اتخذت الها غيرى لأجعلنك من المسجونين ﴾ (١) •

وقوله :

(وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ (٢) •

وقوله :

(وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم ● قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم ﴾ (٣) •

---

(١) الشعراء ٢٣ ـ ٢٩ •
(٢) الجاثية ٢٨ •
(٣) يس ٧٨ ـ ٧٩ •

وقــوله :

(زعم الــذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير) (١) ٠

وقــوله :

(يا أيهــا النــاس ان كنتم فى ريب مــن البعث فانا خلقناكم مــن تراب ٠٠٠) (٢) ٠

الى غير ذلك من الآيات ، التى توضح أن الالحاد شغل حيزا كبيرا فى الفكر البشرى ، وأنه من أخطر الأمراض الاجتماعيــة التى أرســلت الرسل لمعالجته واستئصاله ، وأنفقوا معظم وقتهم فى الجهــاد من أجــل القضاء عليــه لاستئصاله ، أو اضــعافه بحيث لا يكون ظاهرة اجتماعية تهدد كيان المجتمع القائم على الايمان بالله ٠

انقطع خبر السماء بعد رســالة محمد ﷺ ، فلم يعد يرســل الله رسولا أو ينزل كتابا ، فمحمد ﷺ هــو خاتم الأنبيــاء ، ولن يأتى نبى بعده ، والقرآن هو آخر كتاب ينزل من عند الله ، وقــد حفظه الله من الضياع أو النسيان ٠

« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (٣) ٠

فاذا ظهر الالحاد فى المجتمع ، وأصبح ظاهرة اجتماعيــة ، فــلا يجــوز لنــا — نحن المسلمين — أن نتقاعس عن محاربته والقضــاء عليــه ، بحجة أن الله سيتولى ذلك بارسال رســول مؤيد بمعجزات ، كما حــدث قبل الاســلام ٠٠٠ لا ٠٠٠ لن يحدث هذا ، لأن دستوره بين أيدينا ، فهو ســلاحنا الذى نحمله فى جهادنا ضد التيار الالحــادى ، فعلينا أن نعد أنفسنا لهذه المعركة ٠

كيف ذلك ٠٠٠ هــذا هو ما سنبينه فى هــذا البحث ٠

---

(١) التغابن ٧ ٠
(٢) الحج ٥ ٠
(٣) الحجر ٩ ٠

الفصل الأول

طبيعة الالحاد فى العصر الحديث

معنى الالحاد :

للالحاد تاريخ طويل حافل ، وله صور كثيرة متنوعة ، غير أن أوسع معنى يعزى اليه ، هو أنه انكار للتصور السائد عن الله ، أو عن المعتقدات الدينية ، ولما كان هذا التصور يمكن أن ينتقل من عصر الى آخر ، لم يكن من المستبعد أن يختلف معنى الالحاد باختلاف العصور ، فأحيانا يتأثر المنكر خفية بادراك أن النظرة الشائعة عن الله غير جديرة بالدلالة على أعلى قيمة ، أو بأنها لا تتفق واحساسه بالكرامة الانسانية ، ولا يختلف هذا الموقف كثيرا عن دعوة من يرتدون رداء الاصلاح الدينى ، الذين يريدون تصحيح تصور الفكرة الدينية ، باستبعاد ما أدخل عليها من نظرة مضللة عن الله ، وتنقية العبادات من البدع والضلالات • غير أنه أطلق على هذا التيار الحاد أيضا ، فقد أطلقت كلمة « ملحد » على « انكساجوراس » ، لأنه انتقد الفكرة الدينية اليونانية عن الآلهة ، وأطلقت أيضا على تلاميذ المسيح عليه السلام ، لأنهم أنكروا تعدد الآلهة عند الوثنيين ، وعلى (اسبينوزا) ، الذى ربط بين الله والعلم على نحو مخالف للفكرة الدينية التقليدية ، غير أن استخدام هذه الكلمة لم يكن مناسبا فى مثل هذه المواقف ، لأنها تتعلق بمسألة النزاع بين التصورات المختلفة عن الله ، ولا تنطوى على انكار تام للآلهة ، الا أن القرن التاسع عشر شهد مولد مذهب فى الالحاد ، مذهب كامل التكوين ، يرمى الى استبعاد الله بلا قيد ولا شرط من معتقداتنا •

وكان من النادر — فيما سبق من عصور — أن يعتنق الالحاد علانية مفكرون بارزون ، اذ كان ينظر اليه على أنه موقف هدام •

أما فى خلال الفترة التى أعقبت الفيلسوف الألمــانى « هيجل » ، فقد اعتنقه جهارا عدد من زعماء الفكر ، الذين أضفوا عليـــه نوعا من التوقير الذهنى ، بل ومن التداول الشعبى أيضـــا • وقـــد نجحوا فى هــذا بأن ربطوا بين الالحاد وبين بعض الاتجاهات الرئيسية فى انحـــياة العلمية والثقافية والأخلاقية ، وبدلا من أن يقف الالحـــاد موقفا سلبيا عقيما ، أضحى مقوما من مقومات الاتجاه الانسانى فى المجتمع الحديث• ومن الجلى أن مثل هــذا الانقلاب فى الأوضاع ، لم يكن من صنع حفنة قليلة من الفلاسفة ، بل اننا لنجد داخل التراث الفلسفى نفسه تمهيدات طويلة المدى للالحاد فى بعض جوانب مذهب الشـــك وعصر التنوير وغيرهما من التيارات ، وكانت هناك ظروف مشجعة قوية فى المجالات العلمية والثقافية والاجتماعية •

الصراع بين العقل والدين :

انسابت روح العقلية الاسلامية فى وديان أوروبا من جهتين :

– من الأندلس حيث قامت دولة اسلامية على أرض أوروبية ، فاتصل المسلمون بسكان المناطق الأوروبية الأخرى اتصالا مباشرا •

– ومن فلسطين عن طريق الصليبيين الذين جاءوا الى الشرق غازين ، فارتدوا على أعقابهم : وليس معهم ســوى البــذرة التى أنبتت الثورة على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية التى كانت تعتبر :

– أن البابا وأعضـــاء مجلســه من الطبقـــة الروحيـــة الكبرى هم المصـــدر الوحيد للمعرفة •

– وأن لهم وحدهم حق تفســـير الكتاب المقدس •

– وأن لتفسيرهم وآرائهم الدينيـــة قداســـة الكتاب نفســـه ، فهـــو كتاب مقدس أيضـــا •

– وأن الاعتراف بالخطأ ، وصـــكوك الغفران من رســـوم العبـــادة المسيحية •

ثار العقـــل الأوروبى على هذه التعاليم ، فانطلق يبحث عن مصدر آخر للمعرفة ، ولكنه لم يهتد الى مصـــدر له خاصية الثبوت والدوام • كذلك لم يستطع المفكرون المسلمون آنذاك — فى القـــرن الســـادس عشر الميلادى وما بعده — أن يقدموا له عونا فكريا يقنعه ، ويأخـــذ بيده ، ليوصله الى هدفه ، دون التخبط فى ظلمات سراديب الضلالات البشرية ، لأن المجتمع الاسلامى كان يمر فى ذلك الوقت بمرحلة الضعف ، فكان عاجزا عن القيام بهذا العمل •

لم يهتد العقل الأوروبى الى مصـــدر آخر للمعرفة ، فظل يتخبط متنقلا من مصـــدر الى آخر ، دائرا حـــول ما عرفته البشرية فى تاريخها الفكرى من مصادر اختلفت الآراء فيها ، تلك المصـــادر هى :

— الـــدين •

— العقـــل •

— الحس أو الواقع •

فعندمـــا بدأ ظهور الثمـــار الفكرية ، للحروب الصليبية ، ظهرت حركات فكرية تعارض الكنيســـة ، فثار « مارتن لوثر » :

— على تعاليم البابا •

— والكنيســـة الكاثوليكية •

— وحارب صكوك الغفران •

— وانتقد فهم الكنيسة لكثير من المســـائل العقدية •

— وطالب بالحرية فى تفســـير الكتاب •

— وجعل الكتاب المقدس نفســـه هـــو مصدر الحقيقة •

تعرضت الكنيسة للجدل الفكرى بعـــد حركة « لوثر » ، وأصبحت المسيحية موضـــوع نقاش بين المذاهب الفلسفية ، ولكن ليست المسيحية كدين ، بل مسيحيـــة الكنيســـة الكاثوليكية ، ولهـــذا كان الدين هـــو

موضـــوع الصراع العقلى الأوروبى ، وأصبح البحث عن مصدر المعرفة ، هـــو المســـألة الأولى فى الفكر الفلسفى •

ســـيادة العقـــل :

كانت التعاليم الدينيـــة — وهى تعاليم الكنيســـة الكاثوليكية — سائدة فى العصـــور الوسطى فى مجال توجيه الانســـان فى كل ميادين الحياة ، سلوكا ، وفهما للطبيعة ، حتى القرن الخامس عشر ، حين قام « لوثر » بحركته ، وبعد ذلك تعرضت هـــذه التعاليم للجدل والنقاش • غير أن الوحى ظل يعتبر كمرجع أخير للمعرفة — على اختلاف فى تحديد تعاليمه — حتى النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، حين بدأ ما يسمى : « عصر التنوير » فى تاريخ الفلسفة الأوروبية وهو عصر له طابع خاص فهو يتميز عن العصـــور السابقة ، ويختلف عما تلاه ، فله طابعه المشترك فى الفكر الألمـــانى والانجليزى والفرنسى ، واشتهر من فلاسفة هـــذا العصر :

فى المـــانيا : « كريستيان وولف » Christian Wolff

و « لســـنج » Lessing

وفى فرنسا : « فولتير «Voltaire» » و « بايل «Bayle» »
و « لامترى La Méttrie

أما الطابع الفكرى الذى تميز به ، فهو وجوب ســـيادة العقل — كمصـــدر للمعرفة — على غيره •

وغيره الذى ينازعه « الســـيادة » فى ذلك الوقت هـــو : الدين ، أى المسيحية الكاثوليكية •

نشـــأت فى عصر التنوير خصـــومة فكرية بين الدين والعقـــل ، وكان الاتجاه الفكرى يميل الى اخضـــاع الدين للعقل • ولهـــذا أطلق على هـــذه الفترة فترة ســـيادة العقل ، مقابلة للفترة الســـابقة ، فترة ســـيادة الـــدين •

وليس معنى هــذا أن الفترتين منفصلتين تمام الانفصــال • فلم تخل فترة سيادة الدين من مفكرين ، وقفوا بجانب العقــل • كذلك لم تخل فترة ســيادة العقل من أنصار للدين ، فنرى مثلا « بلانش » ينقد ســيادة « العقل » كمصدر وحيد للمعرفة ، ويذكر :

« أن فلسفة التنوير » أخطأت عندما قصدت الى أن العقــل — وحده ومن نفســه — يمكن أن يوجــد « الحقيقة » وينظم الجماعة •• وأخطأت كذلك عندمــا أرادت أن تقيم صــورة العلاقة المشــتركة بين الأفراد ، على ما بينهم من ميل ومحبة انســانية ، دون ما يربطهم من قبل من رباط اللغــة ، والدين ، والتقاليد ، وما أشبه ذلك من الروابط الأخــرى الســائدة » •

ويستطرد (بلانش) فيذكر أن :

« كل حياة عقلية للانسان هى حصيلة التقاليد الاجتماعية ، واللغة بالذات ••• فاللغة هى وحى الله للانســان ، و (الكلمــة الالهية) هى مصــدر (الحقيقة) ••• والمعرفة الانسانية هى دائمــا قسم من هــذه الحقيقة الالهية ••• وتنمو من الضمير الذى بداخلها ، والذى يجعــل للعام اعتبارا خاصا بأنفسنا • و « الكنيســة » هى حاملة « الكلمــة الالهية » ، فتعاليمها هى « العقل العام » الذى هــو منحة من اللــه ، والتى تشبه شــجرة نمت على مر الزمن ، ونضجت بهــا كل المعــارف الانســانية الخالصة من الزيف • ولهذا يمكن أن يعتبــر « الوحى » وحــده أساسا « للجماعة » ونظامها ، كما يعتبر أساسا « للمعرفــة » و « الحقيقة » معا •

كان الصراع فى هــذه الفترة صراعــا بين العقــل والكنيســة ، لا بين العقل والدين بمعناه العــام ، ومن الأســباب الرئيســية التى ساعدت على ظهور هذا الصراع ، موقف الكنيسة من الحياة الأوروبية ، ســواء فى مجال التوجيه والبحث ، أو فى مجال السياسة ، أو فى نطاق العقيدة • ومما زاد فى أواره ، أسلوب رجــال الدين — والمدافعين عن

العقيدة من الفلاسفة — فى مجال البحث والدراسة فى الجامعات ، ذلك الأسلوب الذى بعد عن الواقع ، وحصر نفسه فى مناقشات ، ومماحكات لغوية •

ويعترف الكاردينال « نيقولا دو كوسا » — وهو أحد فلاسفة الكنيسة — بذلك ، فهو يرى أن الفلسفات ، وعلوم اللاهوت السائدة فى الجامعات — فى ذلك الوقت — قد فقدت اتصالها بالعالم الواقعى ، واستبدلت بالبحث عن الحقيقة شقشقة لفظية حاذقة •

لا نريد أن نخوض فى الأبحاث الفلسفية ، التى امتدت من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر الميلادى ، ابتداء من مذهب الشك — الذى ظهرت بوادره عند « ميشيل دى مونتانى » (١٥٣٣ — ١٥٩٢ م) وتألق عند ديكارت (١٥٩٦ — ١٦٥٠ م) — حتى أخلاقية « كانت » (١٧٢٤ — ١٨٠٤ م) ، تجنبا للاستطراد ، لأن غرضنا الوصول الى جذور الشيوعية ، من أقرب طريق ، يعطينا صورة متكاملة عن منابع ذلك المذهب الالحادى •

ولذا سنتناول آراء الفلاسفة ، الذين خاضوا حلبة الصراع بين العقل والكنيسة ، وكانت لآرائهم صلة بمبدأ « ماركس » فى دعوته للشيوعية •

ظهر مبدأ النقيض فى الفلسفة الألمانية ، واعتبر من المبادىء الضرورية الذى لا يقبل الرفع ، لأن الفلاسفة الألمانيين رأوا أنه يتبع طبيعة العقل ، فهو خاصة من خواصه ، ومن أجل هذا كان العقل حقيقيا ، ثم بالتالى كان المبدأ نفسه حقيقيا •

استخدم هذا المبدأ « فيشته » و « هيجل » و « فويرباخ » ثم اعتمد عليه « ماركس » فى حتميته التاريخية • وسنعرض ملخصا لتصور هؤلاء الفلاسفة « لمبدأ النقيض » ، ثم نبين كيفية استخدام « ماركس » له فى فلسفته الشيوعية •

فيشـــــته :

يرى فيشته فى استخدامه لمبدأ النقيض ، أن الانسان اذا تصـــور نفســـه •• أى اذا « أنا » تصورت « أنا » ، نشأ عنه أن « أنا » هـــو « أنا » • ونشأ عنه أيضا : ما « ليس أنا » غير « أنا » •

ــ فهنا : « أنا » وهنا أيضا « ليس أنا » •

ــ ولكن وجـــود « ليس أنا » منطـــو فى الوجـــــود الحقيقى لـــ « أنـــا » •

واذن « أنا » باعتبار أنه ينطوى فى ذاته وجـــود « ليس أنـــا » ، هـــو جامع للشىء ومقابله •

ويستلزم منطق « مبدأ النقيض » على هـــذا النحو أن :

ــ العقل مستقل تماما عن غيره ، وموجـــود من أجل نفســـــه ، ووجوده هو وجوده هو ، لا وجود غيره •

ــ ماهية العقل تتضح اذن من العقل نفســـه ، وليست مما هـــو خارج عنه ، مغاير لـــه ••• اذ لو توقفت ماهية العقـــل على غـــيره الخارجى عنه ، لكان معناه أن « ليس أنا » هو نقطة البداية ، وفى ذلك الغاء لـــ « أنا » ، فتوقف العقل فى توضيح ذاته على غيره ، دون توقفه على ذاته ، نفى للعقل نفســـه ، قبل أن يصل الى غيره ، لأنه لا معنى لوجود « ليس أنا » ، الا نفى وجود « أنا » ، أى نفى العقل نفســـه •

كما أن منطق هذا المبدأ ــ على نحـــو ما يستخدم فى « تصـــور الانســـان لنفسه » ــ لا يجعل ادراك عالم الأشياء ، من انتاج قـــوة التصـــور والفكر لدى الانســـان فحسب بل يؤكـــد حريـــة الانســـان فى هـــذا الادراك ، كمـــا يؤكد حريته فى العمل على العموم • ويؤكد بالتالى أنه غير مجبر لغيره • ولا مضطر فى عمله • اذ هـــذه الحرية

من تفكير الانســـان • لا يحددها الشيء الخارج عنه ، هى من العقـــل الذى يحدد غيره ، وهـــو الشيء الخارج عنه •

وبهذا وصل فيشـــته الى :

— استقلال العقل فى الوجود عن الجسم ، أو أى كائن آخـــر ، والى سيادته على نفسه ، وعلى غيره ، وهو العالم الخارجى عنه •

— ثم الى حرية الانسان فى العمل حرية تامة ، لا يشوبهـــا شبه تحديد من غير الانســـان نفســـه •

— وأخيرا الى تبعية عالم الأشياء فى تصوره الى العقل •

هيجـــــــل :

اشتغل « هيجل » بالقضايا الفلسفية التى ورثهـــا عن أســـلافه الألمـــان ، فتصور أن العالم الحديث يعانى من اغتراب ذى شـــعب ثلاث : **اجتماعى ، ودينى ، وفلسفى** • واتضح له أن أســـاس المتاعب يكمن فى فكرة متكافئة عن الله ، فـــ « يصف المفهـــوم اليهودى » بأنه موضوعى تماما ، ويعنى بذلك أنه مفهـــوم يجعـــل اللـــه والانســـان غريبين ، أحدهما عن الآخر تمام الغربة ، كأنهما موضـــوعين عند القطبين المتعارضين للعالم • وهـــذا الدين يعلن أن الانســـان لا قيمة له فى حـــد ذاته ، وأنه لا يستحق أن تقوم بينه وبين الله علاقة عبودية خارجية ••• ويصـــور انبطارقة اليهـــود بأنهم جســـدوا مثلهم الأعلى فى السيطرة الطبيعية ، فى كائن لامتناه — وان يكن واقعيا وجزئيا — هـــو الله الذى يتحكم فى العالم ، وبخضوع الانسان لهذا « الموضوع الذى فى الأعالى » • يضمن لنفســـه سيطرة غير مباشرة على القوى الطبيعية •

كما انتقد « هيجل » المسيح نفسه ، والكنيسة المسيحية لاصرارهما على شخصيته — أى الـــه — الالهية الفريدة ، وعلى ملكوته بوصفه مجتمعا منعزلا عن العالم •

ثم يعرف الدين « بأنه سمو الانسان بنفسه من الحياة المتناهية الى الحياة اللامتناهية ، وبأنه طموح الانســـان للعلو على نفســـه ، لكى يصبح الهيا • ويرى أن الحيـــاة اللامتناهية ، من حيث طبيعتهـــا لا تفترق عن الحياة المتناهية ، وانما تشتمل على هـــذه الحيـــاة فى داخلها ، فهى الكل المطلق الحى ، الذى يحتوى فى داخل ذاته على كل الأضداد ، بين المتناهى واللامتناهى ، الجماد والحى ، الموضوع والذات ، الفكر والواقع » •

لم ينكر « هيجل » وجود الله ، وان أطلق عليه « المطلق » ، ولم ينكر مبدأ الوحى كمصدر أخير « للحقيقة » ، وانمـــا أنكر التصورات التى تضع حـــدا فاصلا بين الله والانســـان •

نظم « هيجل » فلسفته حـــول نظريته فى « المطلق » بوصفه روحا ، وقد أعطى لكلمة « روح » معنى مذهبيا متميزا ، ودافع عن تطبيقها على المطلق ، فاستعمل فى ذلك « مبدأ النقيض » ، فقـــد تصـــور فى مجال الفكر أن هناك فكرة مطلقة أسماها « العقل المطلق » ، ولهذا « العقل المطلق » وجـــود ذاتى أزلى قبل خلق الطبيعة ، وقبل خلق العقل المحدد • هذا العقل المطلق هو (الله) ، ومنه تنبثق الطبيعة ، وهـــو يغايرهـــا تماما ، اذ أنها مقيـــدة محددة ومتفرقة ، بينما « العقل المطلق » واحـــد وحـــدة مطلقة عن كل قيد •

وبوجـــود « الطبيعة » ظهرت — أو انتقلت — « الفكرة » ، التى فى « العقل المطلق » غير المحـــدد ، فيما وجـــوده مقيـــد محـــدد • فالطبيعة هى خروج « الفكرة » من دائرتها الأولى ، ومن أجـــل ذلك كانت ضرورة وصدفة ، وليس فيهـــا حرية واختيار • وتعتبر لهـــذا مقابل ، ونقيضا للفكرة فى « العقل المطلق » •

— واذا كان « العقل المطلق » دعوى •

— « فالطبيعة » عندئذ مقابل الدعوى •

والفكرة انتقلت بذلك من المطلق الى المقيد ، أو من النقيض الى نقيضه • واذن ، فالفكرة من حيث هى فكرة ، انطوت على نقيضها حتى الآن ، ولكن الفكرة فى « الطبيعة » تسعى من جديد لتكسب الوحدة الأولى — التى كانت فى العقل المطلق — ، بعد أن افتقدتها فى تفرق الكائنات فيها ، وتسعى لتحصيلها ثانية ، وتحصيلها عندئذ هو « العقل المجرد » •

« فالعقل المجرد » هو نهاية الطبيعة المحدودة وغايتها ، وهو عندئذ جامع الدعوى ، ومقابل الدعوى •

« فالفكرة » — فى نظر هيجل — انتقلت من ذاتها كـ « عقل مطلق » الى نقيضها وهو « الطبيعة » كـ « عقل مقيد » ، ثم انتقلت من النقيض الى جامع ، يلتقى فيه الشىء ونقيضه ، وهو « العقل المجرد » •

و « العقل المجرد » — هو جامع الدعوى ومقابل الدعوى — ، هو العقل فى صورة اتصال العالم بعضه ببعض ، سواء ما يأخذ منه طريقه الى الظهور ، أو ما يظهر منها بالفعل ، وهذا العقل يتمثل فى القانون ، والأخلاق ، وفى الفن ، والدين ، والدولة ، والجماعة والفلسفة •

واذن « العقل المجرد » الذى يتحقق فى أى واحد من هذه القيم العامة المذكورة جامع للمتقابلين •

— جامع للفكرة فى العقل المطلق ، وهو « الله » •

— وللفكرة فى العقل المقيد ، وهو « الطبيعة » •

ذلك أنه ليس له اطلاق « العقل المطلق » ، ولا تحديد « عقل الطبيعة » ، بل فيه اطلاق بالنسبة الى الطبيعة ، وتقييد بالنسبة للعقل المطلق ، ولذا يعتبر جامع الدعوى ، ومقابل الدعوى •

ففكرة الألوهية ظهرت ، وتجلت فى الطبيعة المفرقة المحددة ، واجتمعت من جديد فى « العقل المجرد » .

وبقدر ما تبعد الطبيعة عن الله ، يقترب « العقل المجرد » منه ، و « العقل المجرد » اذن يمثل الله أكثر مما تمثله « الطبيعة » . وهو بمثابة نوع للعقول الفردية المنثورة فى الطبيعة ، ويعلوه « العقل » المطلق « وهو الله » .

على الرغم من أن « هيجل » وصف فلسفته هذه ، بأنها « حكمة الله » ، وبأنها « خدمة الله ومعرفته » ، بل بأنها « لاهوت » ، وكان ما يقصده من هذه الأسماء ، هو أن ما يدركه العقل الالهى والدينى ، ما هو الا مجر ايحاء بالروح المطلقة ، على الرغم من هذا ، فاننا نرى أنه انتقص من هيبة الله وعظمته ، وبأنه خلعه من عرشه ، وأنزله من سمائه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، وأن الملحدين الذين جاءوا من بعده ، اتخذوا « مطلقه » نقطة انطلاق لفلسفتهم الالحادية .

فوير باخ :

اذا تجاهلنا منهج « هيجل التفصيلى » ، فانه يمكننا أن نعده من أنصار مذهب الألوهية ، لأنه لم ينكر وجود الله انكارا تاما — وان كان قد حوله الى « عقل مطلق » — ولم ينفه من الفلسفة نفيا مطلقا ، ولذا تعامل فلسفته ، على أنها تراث مشترك لكل موقف فلسفى لاحق ، يدافع عن الاتجاه الذى يعترف بالألوهية .

غير أن من المفارقات التى اتسم بها التفكير اللاحق لـ « هيجل » عن الله ، هى الظهور السريع للفلسفات الملحدة ، والمتناهية ، والشخصية . ولما كانت هذه الحركات الجديدة ، قد جاءت فى أعقاب نزعة مثالية ، مجدت الالهى واللامتناهى ، واللاشخصى ، فيبدو أنها تنطوى على انقلاب تام فى الاتجاه السابق ، وأنها تضرب — بحق — مثلا أصيلا على الانفصال التاريخى . ومهما يكن الأمر ، فان الفحص الدقيق يكشف عن أن هذه المفهومات الجديدة ، تعتمد فى شطر منها

على حركات عقلية أخرى ، ظهرت فى القرن التاسع عشر ، وتعتمد فى شطر آخر ، على تطوير بعض النغمات المتصارعة فى فكر « هيجل » نفسه • **فالجناح اليسارى من الهيجليين** قد شجعه — بكل تأكيـد — الازدواج الـذى أحاط بالوجـود الفعلى للمطلق على استبعاد الروح المطلقة ، وعلى اضفاء طابع المطلق على الطبيعـة الانسـانية ، وعلى الحيـاة الاجتماعيـة •

كان « فـوير باخ » (١٨٠٤ — ١٨٧٢) من الجناح اليسـارى الهيجلى ، انضم الى تلاميذ « هيجل » — قبل وفاة « هيجل » بأعوام قليلة — ببرلين • وكان من قبل يدرس العلوم الدينية ، ويقال انه انضم الى تلاميذ « هيجل » حين وقـع فى أزمـة فكرية ، نتيجـة لضروب التوفيـق ، التى سـعى اليهـا علمـاء لاهـوتيون — مـن أمثـال « شلاير ماخر » — بين الحرية الانسانية ، والتبعية لله ، وبين قوانين العقل ، ومطالب الايمان • ولم يستطع « فوير باخ » ، أن يجـد — حتى عند زعيم المثالية الألمـانية — حـلا مرضيا لهـذه التوترات • والواقع أنه كلما استمع الى « هيجل » ، وهـو يتحدث عن تعينات « الفكرة المطلقة » فى الواقع الانسـانى ، ازداد تعجبـا عن كيفيـة التوفيق بين هذه النظرة المثالية للانسـان ، وبين ما تقرره البيولوجيا والفيزياء عن الانسـان • وعن ذلك المـزاج المتشـكك العميق الذى تولد عن هـذا المـأزق ، وضع « فوير باخ » تدريجيا فلسفة ، رأى أنها أكثر تمشيا ، مع الروح العلمية فى القرن التاسع عشر •

أنتج « فوير باخ » فى الفترة القصيرة ، التى تمتد بين عـامى ١٨٣٩ ، و ١٨٤٣ م أربعـة مؤلفـات رئيسية ، تحـدد موقفـه من المسيحية ، ومن الهيجلية ، وقـد تنبأ بأن مستقبل الفلسفة ، ينتمى الى موقف ، يجمع بين النزعة الانسانية ، والنزعة الطبيعية ، ولكنـه أضاف شرطا ، لفتح الطريق أمـام النزعة الانسانية الطبيعية ، ألا وهو ازالة المسيحية ، ومطلق « هيجل » •

والى طريقة « فوير باخ » فى وضع مشكلة العقل والطبيعة ، يرجع

السبب الرئيسى ، الذى جعل الالحاد سمة مميزة ، لكثير من النزعات الانسانية والطبيعية ، خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، والقرن العشرين •

أرسى « فوير باخ » قواعد الالحاد فى العصر الحديث ، فطرح قضية شغلت الفكر ، ذلك أنه تقدم بقضية « تاريخية » ألا وهى : أن المهمة الرئيسية للفكر الحديث ، هى « تأنيس الاله » ، اذ يرى أن البروتستانتية ترتكز على دلالة الله للخاص الانسانى ، ومذهب شمول الألوهية ، يغلق الأبواب على الله داخل الطبيعة ، والمذهب التجريبى يحكم على الله بمعيار النزعة العملية فى الانسان ، وتنظر المثالية الى الله والطبيعة ، بوصفهما وجهين لكل روحى واحد • ويعد « هيجل » ذروة هذا الاتجاه « التأنيسى » ، ولكنه يفتقر الى الشجاعة التى تدفعه الى النتيجة المحتومة التى تتألف من رد كل ما هو فوق الانسان الى الانسان ، وكل ما هو فوق الطبيعة الى الطبيعة ، لتنقطع الأسباب بمذهبه ، دون الوصول الى هذا الرد النهائى ، نتيجة لاحتفاظه بالروح المطلقة » •

ويرى « فوير باخ » أن رسالته الخاصة ، هى « تأنيس » و « تطبيع Natoralization » الروح المطلقة ، بصورة تامة •

وتنفيذا لهذا المشروع ، يقبل « فوير باخ » موقف « هيجل » الى حد معين ، ثم يقلب العلاقات الجدلية ، التى سلم بها مؤقتا • فاذا قال « هيجل » : « العقل وحده الحقيقى ، والموجود فعلا » •

قال « فوير باخ » على عكس ذلك : « الانسان هو وحده الحقيقى ، والموجود الفعلى » •

لأن ما هو انسانى هو وحده العقلى :

الانسان هو مقياس العقل ••• و « المطلق » بالنسبة للانسان هو طبيعته الخاصة •

وبهذه الطريقة يفسر « فوير باخ » الدين والله من الطبيعة الانسانية وميولها ، « فما يميز الانسان عن الحيوان ، هو قدرته على أن يدرك بتفكيره ، لا الفرد وحده ، بل النوع بأكمله • وعقل الانسان مليء بطبيعته الجوهرية الخاصة ، الى درجة انتهت به الى اعتبار نفسه كائنا لا متناهيا • فاذا عرف الدين بأنه الوعى باللامتناهى ، أمكننا أن نفهم ذلك ، بوصفه ادراكا للانهائية وجود الانسان الجوهرى الخاص ، غير أن العقل الدينى ، لا يرى فى البداية أن موضوع عبادته ، هو ماهية الانسان اللامحدودة • الانسان يبدأ بأن يرى طبيعته ، وكأنها « خارج » نفسه ، قبل أن يجدها فى نفسه ، وفى الحالة الأولى ، يتأمل نفسه وكأنها نفس كائن آخر » •

ومن هذا التحليل يستخلص « فوير باخ » هذه النتيجة المتناقضة :

وهى أن العقل الدينى ، الذى يبلغ أقصى حالات الوعى بذاته ، ينبغى أن يكون ملحدا • فالانسان هو نفسه الاله الحقيقى الوحيد •

وما ان ينفذ الانسان الى دلالة الدين الحقيقية ، حتى يستطيع الاستغناء عن الاله ، أو عن الروح المطلقة ، ويكرس نفسه لتحقيق إمكانات وجوده الجوهرى الخاص •

ولا شك فى أنه كان مغاليا ، حين سمح لفكره أن يضفى طابع المطلق على كل ما يخصص له « الديالكتيك الهيجلى » وظيفة ثانوية ، فبينما يقول « هيجل » ان الروح المطلقة ، هى وحدها الموجودة فعلا ، وأنها منهمكة فى العملية الزمانية •

يلتزم « فوير باخ » بما يناقض ذلك ، فيقول :

ان الموجود المتناهى المتطور زمانيا ، هو وحده الموجود الفعلى ، ويتمسك — مخالفا مذهب الألوهية — بلا تناهى الانسان •

فهو لا يدرك الفرق بين الدفاع عن حقيقة الأشياء المتناهية ،

باثبات أنها « ليست » لحظات فى النمو الديالكتيكي للروح المطلقة ، وبين أن يفعل ذلك ، بأن يجعلها المضمون المطلق الوحيد للوجــود •

كان « فوير باخ » من أكبر فلاسفة الالحاد فى القرن التاسع عشر ، بنى فلسفته على « أن الحقيقة » هى علم الانســان ، وأن علم الانسان هو الدين ، والدين اذن محصول للعقل الانســانى ، وليس موحى بــه من خــارج الانســان •

« والطبيعة الالهية » كذلك ، هى طبيعة الانسان نفسه ، وأفكاره وآماله الانسانية • « فهو يكفر بالحياة الآخرة » • اذ هى ليست عنده شيئا آخر ، ســوى هــذه الحياة الدنيوية ، على اعتبار أن اللــه ليس شيئا آخــر غير الانســان •

فكان يرى أن الانسان ، اذا فقد الايمان ، ولم يصدق بحيــاة أفضل فى الآخرة ، وأراد أن يقيم حياة سعيدة على هــذه الأرض ، فسيخلق هــذه الحياة •

تعلم « ماركس » هــذا الدرس ، درس الالحاد من « فوير باخ » وحوله من وحــدة بين الوعى الــذاتى ، والروح المطلقة ، الى وحــدة الالحــاد الاجتماعية •

ماركــس :

اســتمد « ماركس » مصــادر فكره الأولى من « فيشــته » و « هيجل » و « فــوير باخ » ، فقد قوبلت بحــوث « فــوير بــاخ » ذات النزعة الطبيعية بحماس شــديد فى أواسط الهيجليين اليساريين ، وكان ماركس ــ وهو يملك عقلا نظريا ، لعله أشــد العقول نفاذا بين شباب الهيجليين فى أربعينات القرن التاســع عشر ــ يبحث عن هداية فكرية حازمة ، تقوده الى نزعة انســانية طبيعية ، فاستوعب ــ بسرعة بالغة ــ حجج « فوير باخ » ، ضــد الروح المطلقة ، فخلص من ذلك الى اعتناق فكرة :

انزعة الإنسانية الطبيعية ، أو النزعة الطبيعية الانسانية ، واعتمد فى ذلك :

— اما على رغبته فى تأكيد احتواء النشـــاط ، والتطلع الانسانيين داخل الطبيعة المتناهية .

— أو فى تأكيد الاسهام ، المتميز للذكاء والعمل الانسلنيين فى المجال انطبيعى ، وفى كلا التأكيدين يلتقى ما هو واقعى — على أى حـــال — بمجموع علاقات الانسان والطبيعة التقاء تاما .

ولكى يضمن اتحادهما ، واتجاه كل واحد منهما نحـــو الآخـــر ، فقد ألقى الضـــوء على وظيفة العمل ، التى هى الوسيئة الرئيسية — عنده — « لتأنيس » الطبيعة ، و « تطبيع » الانسان أيضا ، وأشـــار الى قدرة انعمل على التحويل فى التاريخ كدليل عينى ملموس ، على الاكتفاء الذاتى المتناهى ، فالانسان يصبح انسانا اجتماعيا من خـــلال عمله مع الآخرين ، وفى بيئة طبيعية ، وهنا لأول مرة يصبح وجـــوده الطبيعى ، هو وجوده الانسانى ، وتصبح الطبيعة انسانية بالنسبة له .

وهكذا يكون المجتمع هو الوحدة الجوهرية انكاملة ، التى تتألف من الانســـان والطبيعة ... هـــذا اذن هو المطلق الجديد ، الذى قدمه « ماركس » ، ليحل مكان التحول ، الذى أراد به « هيجل » أن يصرف الانسان نحو الروح اللامتناهية ، وليكون وسيلة لصبغ نزعة « فوير باخ » ، بصبغة اجتماعية ، وتاريخية أكثر وضوحا » .

سعى « ملركس » — بعد أن اهتدى الى هذا المطلق الاجتماعى — الى استبعاد الله من الفلسفة — ومن الحياة العملية — ، فاتفق مـــع « فوير باخ » قلبا وقالبا ، على أنه بقدر ما يرفع الانســـان من شـــأن الله ، بقدر ما يحط من شأن نفسه ، ومن ثم فقد أهاب بالتقوى التى يشعر بها الناس نحـــو الطبيعة ، وبتوقيرهم الانســـانى للانجـــازات

الحضارية ، بوصفها أسبابا كافية للالحاد . وكان حكمــه أنه من الآن فصاعدا ، لن يسلم بأى وجــود الهى فيما وراء الطبيعة .

« ان الغاء الدين — بوصفه سعادة النــاس الوهمية — شرط من شروط سعادتهم الحقيقية ، ودعوتهم الى التخلى عن أوهامهم فيمــا يتعلق بوضعهم ، هــو دعــوتهم الى التخلى عن وضــع يعين علــى الأوهام ... وواجبنا المبــاشر هــو أن نميط اللثــام عن الاغتراب الانسانى فى صورته الدنيوية ، بعد أن رفعنا عنه القناع فى صــورته المقدسة . وهكذا يتحول نقد السماء الى نقد للأرض ، ونقد الدين الى نقد للقانون ، ونقد اللاهوت الى نقد للسياســة » .

كان من الممكن أن يكون مصير فلسفة « ماركس » ، هــو نفس مصير فلسفة « فوير باخ » ، تنحصر فى مدرجــات الجامعات ، وبين أروقة الباحثين والمفكرين ، ولكنه — أى ماركس — استخدم « مبدأ النقيض » فى المجال الاقتصادى ، فاتصل بالجماهير ، ممــا جعــل لفلسفته أتباعا ، استغلوا جهل العامة بالمتناقضات فى هــذه الفلسفة ، فاستخدموهم لانتزاع السلطة فى بلد ، أتاحت لهــا الظروف الدولية ، أن تكون احدى القوى العظمى فى العصر الحديث ، ثم مــا لبثوا أن استغلوا الأوضاع السياسية ، التى خلقتهــا سنى الاستعمار الأوروبى لدول آسيا وافريقيا ، لنشر الحادهم فى تلك البــلاد ، ويأتى العــالم الاســلامى فى مقدمة المناطق ، التى تقع فى مواجهــة الدعاية الشيوعية الالحادية ، التى تبــدو للجماهير العمالية فى ظاهرها حلوة ، مع أن باطنها هلاك ودمار أخلاقيا واجتماعيا واقتصاديا .

استخدم « ماركس » « مبدأ النقيض » ، الذى عرف للفيلسوفين الألمــانيين قبله : « فيشته » و « هيجل » ... ولكن فى مجال آخر ، غير مجال التصــور الذهنى الذى وجــدناه عند « فيشته » ، وغــير مجال « الفكرة » ، الذى عرفناه لــ « هيجل » . استخدمه فى مجــال الاقتصاد ، مستندا الى تاريخ المجتمعات البشرية .

إن التصور العام « لمبـدأ النقيض » هـو أن كل « شيء » في الوجـود ، يتضمن نقيضه ، بحيث أنه يهدم نفسـه بنفسـه •

إستخدم « ماركس » هـذا المبدأ ، لكي يقيم الدليل على انهيار المجتمع الرأسمالي ••• ، فهـو يرى أن المجتمعات السـابقة عـلى الرأسمالية ، — وهي : مجتمع الملوك ، والمجتمعات الاقطاعية « حيث يتحكم أصحاب المزارع الكبيرة في سلطة الدولة » — انهـارت لأنها تضمنت عنصر النقيض ، فقـد قام الصراع بين الملك — لأنه يملك الأرض وما عليها ، ومن عليها — والشعب ، فأدى ذلك الى اضطرار الملك الى اقطـاع بعض رجاله اقطاعيات ليكونـوا سندا لـه ، فتحول المجتمع الى مجتمع اقطاعي ، وهـذا المجتمع بدوره ، يتضمن عنصر النقيض ، ويمثل هـذا العنصر الأجراء عند الاقطاعيين ، وعليه فقـد قام صراع بين الأجراء والاقطاعيين ، أدى الى تنازل الاقطاعيين عن الأرض للأجراء ، وتحولوا الى بنـاء المصانع ، فتحـول المجتمع الى مجتمع رأسمالي ، والصراع قائم بين أصحاب رؤوس الأموال وبين العمال ، وسيؤدي حتما الى أن يملك العمال المصانع ، وبذلك سيتحول المجتمع الى شيوعي •

ان لاستخدام « مبدأ النقيض » على هـذا النحـو بريقا ولمعانا ، وهو أسلوب يخدع الجماهير ، ويقودهم بمقود ناعم ، الى سـاحة يتوقعون فيها الحصـول على السعادة الدنيوية ، سـاحة تطبيـق الشيوعية ، أو الاشتراكية — كما يسمونهـا تورية وتعمية — ، فاذا وصلوا اليها ، لا يجدون سـوى الضياع والهلاك ، ولو دققوا النظر فيما يدعيه « ماركس » من سقوط المجتمعات — طبقا لنظريته — لتبين لهم خطؤها من عـدة وجـوه :

١ — لم يتحول مجتمع الملوك — كما يدعي « ماركس » — الى مجتمع اقطاعي ، نتيجـة للصراع بين الملك والشعب ، وانمـا أقطع الملك بعض قواده ، ووزرائه تكريما لهم ، على خدماتهم لـه ، أو للدولة •

أضف الى ذلك أنه لم يكن المجتمع الاقطاعى بديلا لـــا سبقه ، بدليل أن نظام الملكية لم يلغ فى هـــذا المجتمع ، بل ظل قائمـــا وبقى الملك جالســـا على عرشـــه .

٢ — كذلك لم يتحول المجتمع ، من اقطاعى ، الى رأسمالى ، تحت ضغط الصراع بين الأجراء والاقطاعيين ، وانما لأن الاقطاعيين رأوا أن الصناعة تدر ربحـــا أكثر من الأرض ، فباعوهـــا ، وأقاموا المصـــانع سعيا وراء هـــذا الربح .

٣ — يدعى « مـــاركس » — طبقا لنظريته فى استخـــدام « مبدأ النقيض » — أن التطور ينقل المجتمعات من مرحلة الى التى تليها ، ولكن الواقع خلاف ذلك ، فقد كان المجتمع فى روسيا قبل الثورة البلشفية اقطاعيا ، ولم يكن رأســـماليا ، فكيف تحـــول منه الى الشيوعية ، دون أن يمر بمرحلة الرأسمالية !!!

٤ — كما يدعى أن هـــذا التطور حتمى ، فكيف يفسر الماركسيون ، عدم تحول المجتمعات الغربيـــة الرأسمالية الى شيوعية ، على الرغم من أنهـــا سبقت المجتمعات التى تطبق الشـــيوعية ، الى مرحـــلة الرأسمالية !!!

٥ — يدعى « ماركس » أن التطور طبيعى ، لأن كل مجتمـــع يحمل نقيضه ، الذى يتصـــارع معه ، فهل يستطيع « المـــاركسيون » أن يبينوا لنـــا ، ما هى أطراف الصراع فى المجتمع الشيوعى القائم الآن !!! هل يدور الصراع بين قادة الحزب — وهم حفنة قليلة — الذين يملكون كل شىء ، وبين بقيـــة أفراد الشعب ، الذين لا يملكون شيئا ، حتى ولا أنفاسهم ، لأنها معـــدودة عليهم بواسطة المخابرات !!!

فان قالوا : ليس هناك صراع ، فقـــد نقضوا أســـاس نظريـــة « ماركس » بأنفسهم ، لأنها قائمة على مبدأ التقيض .

٦ — يدعى « الماركسيون » : أن مجتمعهم ، هو أرقى المجتمعات ، لأن من لوازم قضية التطور ، صيرورة الشيء الى ما هــو أحسن منه • والسؤال الذى يوجه اليهم هنا هــو :

هل سيقف تطور المجتمعات الى هــذا الحد ؟

فان قالوا : نعم •

فقد نقضــوا نظريتهم ، لأنهــا قائمة على مبــدأ الاستمرار فى التطور ، وهــو أساس « مبدأ النقيض » •

وان قالوا : لا •

فقــد حكموا على مجتمعهم ، بأنه ليس هــو الأفضل ، وينبغى عليهم ، ان أرادوا أن يكونوا « تقدميين » — كما يزعمون ، أن يبحثوا عن **الأفضــــل •**

٧ — يدعى « ماركس » أن التطور حتمى وطبيعى ، أى أنه نابع من المجتمع ويسير سيرا طبيعيا ، كما يفهم ذلك من « مبدأ النقيض » •

ولكننا نرى أن المجتمعات التى تطبق الشيوعية الآن • لم تتحول الى هذه المرحلة ، طبقا لهذا المفهوم ، بل أجبرت بقــوة السلاح — فى روسيا عن طريق الثورة البلشفية ، وفى دول شرق أوروبا بواسطة قوات الجيش الأحمر ، عندما سيطر عليها فى الحرب العالمية الثانية — ولا يمكن أن يعزى التحول الذى حدث بالقوة الى تفاعل طبيعى داخل المجتمع •

***

الفصل الثانى

الماركسيون والاسلام

لو لم تقم الثورة الروسية فى أعقاب الحرب العالمية الأولى . لمات الفكر الماركسى ، لأنه لا يحمل أى مفهوم ذاتى يساعده على الثبوت والاستمرار ، ولكن بقاءه يعود أولا الى القوة المسلحة التى تسانده وتقف وراءه فى كل مكان وجد فيه .

وما تطلقه الدعاية الشيوعية من شعارات : كالتقدمية ، والحرية ، والعدالة الاجتماعية ، والسلام ... و ... و ... الخ يكذبها واقع المجتمعات ، التى يفرض عليها النظام الشيوعى فرضا .

وسنبين ذلك بعد عرض سريع لعلاقة روسيا الشيوعية بالاسلام والمسلمين بعد قيام الثورة البلشفية .

علاقة الماركسيين بالمسلمين

داخل الاتحاد السوفييتى :

وجهت الحكومة السوفييتية الجديدة فى ١٧ نوفمبر سنة ١٩١٧ م — أى بعد انقضاء ستة أسابيع على وقوع الانقلاب ، الذى جاء بالبلشفيين فى روسيا الى الحكم — نداءها الرسمى الأول ، الى المسلمين ، جاء فيه :

« لقد سقطت ممالك المغتصبين ، والقراصنة الرأسماليين ، وان الأرض تغلى تحت أقدام المعتدين الاستعماريين . يا مسلمو روسيا ، يا من خربت مساجكم ، وهدمت بيوت عبادتكم نعلن لكم :

أن عقائدكم الدينية ، وشعائركم ، ومنشآتكم الحضارية والقومية ، ستصبح ابتداء من اليوم مصونة ، لن تمتد اليها يد آثمة .

أقيموا حياتكم القومية ، فى جو من الحرية ، دون أن يعوقها عائق ، فلكم الحق فى ذلك » •

كان الدافع الى هذا النداء ، هو محاولة كسب المسلمين الى جانب الشيوعيين ، حتى يتمكنوا من بلشفتهم ، يشهد بذلك ما تلاه من خطوات ، فقد كونت موسكو فى يناير سنة ١٩١٨ م لجنة مركزية — أطلق عليها اسم « المجلس الأعلى للشئون الاسلامية » — وأولتها رعاية خاصة ، فمنحت الحماية الكاملة ، ودعمت بالأموال اللازمة دون حساب •

حصرت مهمة هذه اللجنة فى بادىء الأمر فى شئون المسلمين داخل الاتحاد السوفييتى • ولكن سمح لها فيما بعد بتوسيع دائرة اختصاصها ، لتشمل المسلمين فى أرمينية ، فأصبحت — أو شعرت — بأنها مسئولة عن تيسير شئون الدين الاسلامى فى هذه المنطقة • وبهذا تدخلت هيئة سوفيتية لأول مرة — دون مواراة أو مداراة — فى مسائل تتعلق بشئون اقليم ، يقع خارج حدود الاتحاد السوفييتى •

ثم خطت الحكومة السوفيتية خطوة أخرى ، فأوحت الى هذه اللجنة ، أن تدعوا الى عقد مؤتمر فى ديسمبر سنة ١٩١٨ م ، وكان الهدف الأساسى من وراء عقده ، أن تتوصل الدعاية السوفيتية ، الى انشاء خلايا لها فى العالم الاسلامى ، ففى أثناء انعقاد المؤتمر ، تكونت « رابطة تحرير الشرق » وصيغ برنامج عملها فى مذكرات تحت عنوان : « الشرق والثورة » •

دب النشاط فى « رابطة تحرير الشرق » ، فأسست فى عام ١٩٢٠ م مدرسة عليا فى طشقند ، لتخريج انطلائع الثورية فى الشرق ، اذ يدرب فى هذه المدرسة حملة سياسة البلشفيين فى العالم الاسلامى ، فيتعلمون كل الأساليب الثورية ، ثم يرسلون الى كل الاتجاهات فى منطقة العالم الاسلامى ، وللاعداد للثورات ، التى يقف الاتحاد السوفييتى من ورائها ، ويدعمها بالمال والسلاح •

أراد الماركسيون فى الاتحاد السوفييتى ، أن يمهدوا الطريق أمام أذنابهم داخل العالم الاسلامى ، فدعوا الى عقد مؤتمر لشعوب الشرق فى « باكو » ، وكان ذلك فى خريف عام ١٩٢٠ م ، ووجهت الدعوة الى أكثر من ٢٥٠٠ عضوا ، من كل بلاد العالم الاسلامى فلبى الدعوة أكثر من ١٨٠٠ عضوا •

لم تصل روسيا الى أهدافها فى المؤتمر ، فقد انقسم الشرقيون فيه الى مجموعتين ، واجهت احداهما الأخرى :

مجموعة شيوعية ، وكانت ترى أن التمهيد للثورات الوطنية فى الشرق الاسلامى ، يمثل مرحلة على الطريق الى الثورة الاشتراكية •

أما المجموعة الثانية ، فرحبت باعتراف السوفييت بالثورات الوطنية ، وتأييدهم لحركات التحرير فى الشرق ، وفيما عدا هذا ، يجب أن تبتعد هذه الثورات عن الأفكار الثورية الاشتراكية ، التى تطبقها روسيا داخل أقاليمها • ولم تكن روسيا بالنسبة لهؤلاء سوى صديق يساعدهم على التخلص من الاستعمار •

كذلك رفضت فكرة المقارنة بين الاسلام والاشتراكية ، التى أعلنها الشيوعيون على المؤتمر • وهى :

« ••• كما أن الاسلام يدعو الى المساواة بين أتباعه ، ويؤاخى بينهم ، كذلك يضم رباط أخوى ، كل الذين يؤمنون بالنظام الاشتراكى البلشفى ، الذى يدعو الى المساواة ، فهو يشبه النظام الاسلامى » •

كان لرفض المسلمين المشتركين فى المؤتمر لهذا التحليل رفضا باتا ، أثر على السياسة البلشفية ، تجاه الشرق الاسلامى ، وعلى المسلمين داخل الاتحاد السوفييتى ، اذ كان حكام روسيا البلشفية ، يتصرفون معهم بتحفظ ، حتى لا تنسف مجهوداتهم فى العالم الاسلامى ، ولكن

بعـد أن فشلت سياســة البلشفيين ، وتحطمت محاولاتهم ، فى تقريب الثورات الوطنيــة من الاتجاه الاشتراكى ، تغيرت ســياسة الحكومة السوفييتية تجاه المسلمين ، الذين يعيشــون داخل الاتحاد السوفييتى ، فسقطت أقنعة التســامح الدينى ، الذى تظاهروا به فى بيانهم الأول ، فأغلق عدد كبير من المســاجد ، وجمعيات تحفيظ القرآن ، بلغ عددهــا حتى عام ١٩٣٣ م ، ما يقرب من ٨٠ ٪ من العدد الكلى للمســاجد ، ولم تهــدم أبنيتها ، بل تحولت الى مدارس علمانيــة ، ومســارح ، ودور للخيالة ــ سينمات ــ ونواد ، فتحول مبنى المدرسة الاســلامية العليــا فى سمرقند الى متحف للالحاديين ، الذين ينكرون وجــود الله • وطبقــا للتقديرات المتحفظة ــ لأن روسيا تفرض رقابة شديدة ، حتى لا تتسرب أنبــاء بلشفة المسلمين داخل الاتحاد السوفييتى ، والاستهانة بمقدسات الاسلام الى العالم الاسلامى ــ التى وصلت الينــا ، فقد بقى للمسلمين فى بخــارى عــام ١٩٣٣ م عشرة فى المــائة فقط من مســاجدهم التى كان عددها أربعمائة مسجــد •

حاولت جمعية الملحدين فى الاتحاد السوفييتى ، أن تنشر تعاليمها فى المناطق الاســلامية فى روســيا ، واستماتت فى نشاطها ، للحصــول على أتباع من المسلمين ، ولكن المسلمين بدوا محصنين ، ضد دعاية هــذه الجمعية ، ومما هــو مؤكد أن أعضاءها مارســوا ــ ومازالوا يمارسون حتى الآن ــ معهم كل الأساليب ، بما فيهــا استعمال القوة ، ومع هــذا فقد ظل نجاح هذه الجمعية ضئيلا جــدا ، ليس له وزن •

ومن الجدير بالذكر أن « مبشرى » ــ أو بمعنى أصح «مضللى» ــ جمعيــة الملحــدين ، لاقوا من المسلمين عنتا أكبــر ، ومقاومة أعنف ، مما لاقــوه من المسيحيين • ومازال اخواننــا المســلمين فى الاتحــاد السوفييتى ، يتعرضون ــ حتى الآن ــ لأساليب التهديد المختلفة ، لأنهم يؤمنون بالاســلام ، ويطبقون تعاليمه ، حتى وان كان ذلك فى خفية عن أعين رقباء النظام المــاركسى ، فقــد نشرت جريدة الأخبار القاهرية فى عددها الصــادر فى ١٧/٧/١٩٧٤ م ما يلى :

« موسكو — رويتر : ذكرت الأنبــاء الصحفية ، التى وصلت الى موسكو اليوم ، أن عددا من الأعضاء العاملين فى الحــزب الشــيوعى بمنطقة قوقازية نائيــة ، قد طردوا من الحــزب بســبب مشاركتهم فى الاحتفالات الدينية الاسلامية .

« وجاء فى مقال نشرته صحيفة « زوربافيتسكا » ... بعددهــا الصادر يوم الجمعة المــاضى أن عدد المؤمنين فى منطقة « أزهاريا » ، الواقعة على البحر الأســود ، بالقرب من الحدود التركية ، قــد تزايد بدرجة كبيرة فى العــام المــاضى .

وذكرت الصحيفة ، أن مدير احــدى المزارع الجماعيــة ، قد فصل من الحزب ، كما تعرض بعض رجــال الحزب الآخرين ، لتأنيب قاس ، بسبب انخفاض مستوى الدعاية الالحــادية ، التى يقدمونهــا ، بسبب مشاركتهم فى الطقوس الدينية » .



علاقـة روسـيا البلشفية
بالعـالم الاسـلامى

تضمن البيان الذى أعلنته الحكومة السوفيتية البلشفية فقرات ، وجهت الى المسلمين خارج روسيا ، جاء فيها :

« ... يا مسلمو الشرق : يا ايرانيون ، يا أتراك ، يا عـرب ، يا من مارس المغتصبون الاستعماريون القـادمون ، من أوروبا ، التجارة قرونا طويلة ، بأرواحكم ، وأموالكم ، وحرياتكم ، وأوطانكم ، يا من قسم دياركم هؤلاء النهاب ، الذين أشعلوا الحرب العالمية ، نعلن لكم :

ــ أن معـاهدات القيصر المخلوع السرية ، التى نص فيهـا على السـماح له بغزو القسطنطينية بالقـوة ، قـد مزقت ، ومحيت من الوجود ، فالجمهورية الروسية ، وحكوماتها ترفض الغزو المسلح لأراضى دولـة أجنبيـة .

ــ أن معاهدة تقسيم ايران ، قد مزقت ، وأزيلت من الوجـود ، فبعد أن تنتهى العمليات الحربيـة ، ستسحب القوات الروسية مباشرة من ايران ، وستكفل الحرية للشعب الايرانى ، ليقرر مصيره السياسى ، عن طريق استفتاء شعبى حر .

حـددت هـذه الكلمات أسس الاتجـاه السـياسى ، الذى أراد السوفييت الالتزام به تجاه العالم الاسـلامى ، حيث تنتشر انتفاضـة ضد المستعمرين ، وكان البلشفيون يقصـدون من وراء هـذه الوعـود ــ التى لم يلتزموا بها فيما بعد ــ استغلال هـذه الموجة التحررية ــ التى عمت أرجاء العالم الاسـلامى ــ لتمهيد الأرض أمـام عقائدهم . وسرعان ما تجاوبت أصداء البيان الروسى ، وأحـدث رجع الصـوت

دويا فى أرجاء المنطقة ، فتزايدت الأصــوات فى تركيا ، وفارس ، التى هللت للبيان السوفييتى ، ووصفته بأنه وثيقة الحرية الكبرى ، كما أثر النداء فى الفكر الاسلامى تأثيرا كبيرا ، اذ اختط قنوات ، وعبد طرقــا للفكر المــاركسى الالحادى ، وظهرت معالمه فى كثير من أوجــه النشــاط الفكرية والسياسية ، ونلمح أثر ذلك فى قيــام روابط بين مــا يسمون أنفسهم بالثوريين فى البلاد الاسلامية ، وفى وضــع الخطط لقيام اتحاد بينهم ، يعمل على انشــاء ربــاط ثورى ، بين التيــارات المتطرفــة فى الأقاليم الاســلامية .

أرادت موســكو أن تقيم علاقــات وطيدة بين حركات الاستقلال الوطنى ، التى اندلعت فى العالم الاســلامى ، وبين النضال العقائدى ، الذى تقوده ، فى مواجهة العالم الغربى ، فتقدمت على جبهات متعددة ، وحاولت الدعاية الشيوعية اجتذاب الشباب الوطنى، الى جانبها ، تمهيدا لبلشفته ، حتى يكون رســل المــاركسية فى المجتمع الاســلامى ، وفى الوقت نفســه ، تقدمت الحكومة السوفييتية بمســاعدات للحكومات ، التى أبدت استعدادا ، وميلا للعمــل مــع الاتحــاد الســوفييتى ضد الاستعمار الغربى .

فى أفغانســتان :

ظهرت آثار السـياسة الشــيوعية أولا فى أفغانستان ، اذ هــزت الدعاية الشيوعية موقف الأمير حبيب الله ، عندمــا أشــاعت ، بأنــه آلة فى يد الســاسة البريطانيين ، اشــتروه بثمن بخس ، ثم أمــدت روسيا عملاءها الشيوعيين ، بالمســاعدات المــادية ، فأسسوا « حركة الاستقلال الوطنى الأفغانيــة » ، وظهر على رأسهــا أخــو الأمير ، ولم يمض وقت طويل ، حتى اغتيل الأمير ، فملك أصدقاء الروس زمام الأمــور ، وتدفقت الأسلحة الروسية الى داخل البلاد .

وبعد أن أعلن استقلال أفغانستان ، وقيــام المملكة الأفغانيــة ، وتوقيع المعاهدة الأفغانية الانجليزية فى نوفمبر ســنة ١٩٢٠ م ، — تلك

المعـاهدة التى نصت على انهـاء الوصاية الانجليزية على أفغانستان — سـارعت روسـيا باصـدار بيان تقـول فيـه : ان مجلس الوزراء السوفييتى يعلن :

« أن حكومـة العمال والفلاحين بكل هيئاتها ، تعترف باستقلال أفغانستان ، وأن على أفغانستان المستقلة — ابتداء من الآن — واجب التحالف مع روسـيا ، لمسـاعدة شـعوب الشرق الاسـلامى ، التى لا زالت ترزح تحت نير العبودية ، لتنال حريتها الوطنية والاجتماعية » . وتبدو فى البيان نغمة الثورة الاشتراكية ، التى تحاول موسكو أن تلزم الحكومات الجـديدة فى المناطق المستقلة حديثا ، باتباع النموذج المطبق فى موسـكو ، وأن تحـذو حـذو البلشفيين فى روسـيا ، أى اتخـاذ موسكو كعبة لها فى الاصـلاح السياسى والاجتماعى .

نجحت هذه السياسة الى حـد ما فى أفغانستان ، فتحقق هـذا التحالف الذى نادت به موسكو ، وذلك بابرام معاهدة الصداقة الروسية الأفغانية ، التى وقعت فى فبراير سنة ١٩٢١ ، ومما يلفت النظر أنه نص فى هذه المعاهدة على قيام خمس قنصليات لروسيا فى أفغانستان ، بجانب سفارتها فى كابول ، ولا شـك أن المقصـود من وراء انشـاء هذا العدد من القنصليات هو تطوير وتركيز النفوذ السوفييتى ، الذى يسهل عملية نشر العقائد المـاركسية .

ولكن لم تصـل روسيا الى هـذا الهدف ، كما لم تحقق هدفهـا الحقيقى ، وهو قيـام الثورة الاشتراكيـة ، وذلك بسبب معارضـة الحكومة ، الذى كان عاملا هاما فى سد الطريق أمام الدعاية الشيوعية ، حتى لا تنفـذ الى الأقاليم الأفغانيـة ، فانحصر نشـاط البلشفيين فى العاصمة كابول ، حيث أنها استخدمت كمركز للدعاية الشيوعية ، خارج حدود أفغانستان ، اذ وصـل حملة العقـائد المـاركسية الى الهند ، وكان يتلقون أوامرهم من كابول ، لا يتحركون الا بتوجيههم وارشادهم . والحق أنهم كانوا فى الهنـد « دمى » يحركهم البلشفيون من داخـل

أفغانستان • وهكــذا تمكن المــاركسيون من اقامة مركز لهم فى هــذا البلد ، تنطلق منه سمــوم الدعاية الالحادية ، التى لن تهدأ الا بتحويل هذا البلد الاسلامى المتاخم للاتحاد السوفييتى الى بلد شيوعى ، وقــد ظهرت معالم هــذا التحول بقيام ثورة فى هذا البلد فى الفترة الأخيرة ، وان لم يدرك العالم الاسلامى ذلك ، فيهب للحيلولة دون هــذا التحول الالحادى ، فســوف يندم المسلمون فيمــا بعــد ، حيث لا ينفع الندم ولا يفيد (١) •

---

(١) قصدت بالثورة ، تلك التى أطاحت بالملك ، وقصــدت بالتحذير أن الأمر لن يقف عند هــذا الحد ، بل ســوف يحدث شئ ما ، يحــول هــذا البلد الى الشــيوعية •

وأذكر أن وفدا أفغانيا على مستوى عال ، زار المملكة العربيــة السعودية فى أوائل عــام ١٩٧٨ م ، وأقيم لــه احتفــال فى المعهــد العــالى للدعــوة الاسلامية ، بجامعة الامــام محمــد بن ســعود الاســلامية بالرياض ، وكان لى شرف القاء كلمــة للترحيب بــه ، حذرتهم فيهــا ــ آنذاك ــ من الدسائس ، التى تحاك فى بلدهم ، لتحويلها الى الشيوعية ، فانفجرت مناقشات حــادة ، اشترك فيها أعضاء الوفد ، كما أسهم فيها لفيف من طلبة المعهد من الجنسيات المختلفة ، وكانت الغالبيــة العظمى ، ترى أن دولــة افغانستان فى مأمن من الشيوعية ، لأن الاسلام ــ هكذا صرح الوفد ، وأيدهم كثيرون ــ فيها بخير ، والحكومة لا تألو جهدا فى مطاردة الشيوعيين والقضاء عليهم ، وليس لهم أى نفــوذ على الاطلاق ••• و •• و •• الخ • ولم يمض على هذه المناقشة سوى فترة وجيزة ، الا وقام الانقــلاب الشيوعى فى افغانستان ، فهرع الى بعض الذين عارضــونى اثنــاء زيارة الوفد ــ طلابا وأســاتذة ــ يعربون لى عن اعجابهم بما تنبأت بــه ، فأفهمتهم انى لم أتنبأ ــ لأن خبر السماء قد انقطع بعد محمد صلى الله عليه وسلم ــ ولكنها استنتاجات من ظواهر متعددة ، تبدو على مسرح الأحداث العالمية ، لا تحتاج الى قوة خارقة ، بل الى اهتمام بمــا يجرى فى العــالم • ويجب على الدعــاة أن يهتموا باللعبة الســياسية والاقتصادية بين الدول ، لأن لها ارتباطا وثيقا بأديان ومــذاهب اللاعبين ••• والا عندما يفاجئون بانقلاب فى قطر من اقطار العــالم الاسلامى ــ أو يشاهدون تحولا فى المجتمع ــ فغروا أفواههم ، ورددت السنتهم كلاما أقرب الى ما نقرؤه فى الأساطير منه الى تحليل الواقع ، واستنتاج مــا سيترتب عليه من أحداث •

وكلمة أخيرة ــ مثل الكلمة التى قلتها للوفد الأفغانى ــ يبــدو فى الأفق ان الجولة التاليــة لأفغانستان هى ايران ــ ان لم تأتها المســاعدة من الخارج ــ فهى تعيش اليوم بين العواصف الهوجاء ، ونخشى أن يتخذ الشيوعيون رجال =

فى ايــران :

اعتبر السوفييت المنطقة الفارسية ، ذات أهمية بالغة ، باعتبارها — من الناحية الجغرافية — مركز العالم الاسلامى فى غرب آسيا ، فهى تهم روسيا بنوع خاص ، لأن حدودها معها تمتد مسافة كبيرة .

بعــد أن بلشفت منطقة بخــارى ، حاولت روســيا — فى بداية علاقتها مع ايران — أن تطوى هــذه الدولة أيضا ، عن طريق مســاعدة الجيش الأحمر للحكومة ضــد انجلترا ، وقد قوبل دخــول هذا الجيش بالترحيب فى بادىء الأمــر ، لأنهم اعتبروه حليفا ومســاعدا لهم على التخلص من الاستعمار ، ولكن عندما لاح فى الأفق ، أن هــذه القــوات المسلحة ، تحاول اشعال نار الثورة الاشتراكية ، — أى بلشفة ايران — انتشرت معارضة هــذا الاتجاه ، وازدادت مقاومته ، فاضطرت الدعاية السوفييتية الى مراجعة خططها ، وتبين لها أن الوقت لم يحن بعد للقيام بهــذه الخطة ، فكتبت صحيفة « أزفستيا » فى عــام ١٩٢٠ م تقول : « ان من الخطأ أن نعتقــد أن الثوار الفارسيين شــيوعيون ، وأنهم النموذج ، الذى يلتزم بقواعد ثورتنا الاشتراكية ، فليس فى فارس عمال مصانع ، بل هــو بلد زراعى متخلف ، ولا ينبغى أن نحاول القيام بثورة هناك لأن الظروف لم تتهيأ بعد ، ولم يوجــد المناخ ، الذى يســاعد على نجاح الثورة » .

هــذا هــو أسلوب الشيوعيين فى كل بلد ، يختفون تحت الشعارات الوطنية ، ثم يحاولون الوصــول الى هدفهم ، عن طريق اشــعال نار

= الدين المعارضين للحكم ، سلما للوصــول الى السلطة ، وعند مرحلة معينــة يفتكون بهم فتكا ذريعا ، فهذا هو أســلوب الشــيوعيين فى كل البــلاد التى سيطروا عليها ، يركبون الموجات القومية والدينية ، فاذا سنحت الفرصــة ، أطاحوا بالقوميين ورجال الدين .

وســوف تلى ايران أقطار أخــرى فى العــالم .. أمــا ، مــا هى ؟ فــلا تخفى الاجــابة على الداعيــة الفطن ، المــدرك للأحــداث الجــارية الآن فى العــالم الاســلامى ... !!!

الثورة ، مستخدمين القوات المسلحة ووسائل الاعلام ، والتجمعات العمالية ، فاذا لم ينجحوا ، تراجعوا لمراجعة خططهم ، واعداد العدة لمحاولة جديدة •

ومن الخطأ الاعتقاد بأنهم اذا فشلوا فى منطقة ، يئسوا من النجاح فيها ، وصرفوا النظر عنها ••• لا ••• انهم يحاولون المرة بعد الأخرى بأساليب مختلفة ، وطرق شتى ، متخفين وراء وجوه جديدة على المجتمع ، ويرتكبون كل شىء يوصلهم الى هدفهم ، حتى ولو وصل الأمر الى الكفر بمبادئهم ، ومهاجمتها علنا ، فى بعض المواقف ، ان كان ذلك سيوصلهم الى هدفهم ، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة •

اكتفت موسكو بتقديم المساعدات الدبلوماسية ، والأدبية ، والاقتصادية للثوار الفارسيين ، ليناضلوا ضد الاستعمار الانجليزى ، وهكذا أصبحت موسكو فى ايران — كما فى أفغانستان — السند القوى للدولة الجديدة ، التى أسسها رضا خان ، وجنوده القوقازيين بعد الانقلاب ، الذى قاموا به فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٢١ م •

ساعد التزام روسيا بمساعدة الحكومة الوطنية ، على تدعيم مركزها فى ايران ، وتمكين سلطانها بصورة أكبر مما كان لها فى أفغانستان ، فأدى ذلك الى عقد معاهدة صداقة مع الحكومة الايرانية الجديدة ، تنازلت فيها موسكو — بالاضافة الى تقديم المساعدات المالية السخية — عن الامتيازات ، التى كانت للرعايا الروس فى ايران قبل الثورة البلشفية ، وفى مقابل ذلك دفعت الحكومة الجديدة ، الى الغاء الامتيازات الأجنبية ، بالنسبة لرعايا القوى الأجنبية الغربية • وكان الهدف من ذلك كله ، قيام حزام من الدول الصديقة لنظام الحكم البلشفى فى روسيا ، ضد هجوم متوقع من القوى الغربية على روسيا ، وكانت تأمل أيضا عن طريق هذه المساعدة ، أن يتحول المجتمع الاسلامى فى ايران ، الى اعتناق الأيديولوجية الشيوعية ، لتضمن بقاءه فى فلك الجبهة الماركسية الى الأبد •

ولكنها لم تصل الى تحقيق قيام الثورة الاشتراكيــة هناك ، على الرغم من أن موسكو حاولت — ولا زالت — بعد عقــد المعاهدة ، أن تتجاوز موقف المســاعدة فى المســائل السياسية والعســكرية ، وكان رئيس الوزراء ضياء الدين — الذى عين بعــد الانقلاب العســكرى — أداة هذه المحاولة ، فقد أثبت للسوفيت أنه الرجل الاشتراكى المتطرف ، وأنه يعمل على نقل ملكية الاقطاعيات الكبيرة الى الدولة ، وذلك حين أمر باعتقال عدد من الارستقراطيين والاقطاعيين ، كى يجبرهم على الموافقة على تأميم أملاكهم ، ولكن المقاومة ضــد هذه الأفكار ، التى خرجت من مدرســة موسكو ، نمت بسرعة ، واشــتدت ، وسرعان ما أظهر قائد الانقلاب ، رضــا خان ، أنه لا يرضى عن العلمانيين ، أصحاب المبــادىء الثورية الاشتراكية ، بل اعتبرهم خطرا على تحقيق الآمال الوطنية ، ولذلك قام بعزل رئيس الوزراء ، واتخــذ اجراءات ضــده ، فهرب — أى رئيس الوزراء المعزول — الى خارج البلاد • ومنذ ذلك الوقت تتعقب الدولة ، كل المحاولات اليســارية ، التى تســاعد أصدقاء البلاشفيين ، على قيام ثورة بأسلوب لا هوادة فيه ، وكادت احــدى هــذه المحاولات أن تنجح فى الخمسينيات ، لولا أن قيض الله لها رجالا قضوا عليها ، قبل أن يستفحل أمرهــا ، ولم يكف الشــيوعيون عن محاولاتهم بكل الطرق ، فلهم فى الداخل تنظيم سرى ، يقــوم بعمليات تخريب واغتيال ، وفى الخــارج يحاولون تجميع الطلاب الايرانيين ، الذين يدرســون فى البلاد الأوروبية حولهم ، ويلقنونهم المبــادىء الماركسية ، ويعلمونهم أساليب الدعاية ، التى تســاعد على اعداد الرأى العــام الايرانى ، لتقبل قيام ثورة اشتراكية •

فى تركيــــا :

بدت السياسة السوفييتية فى سعيها لتوطيد العلاقة مع تركيــا ، انها تســير نحو نفس الهدف ، التى سعت موسكو لتحقيقه فى ايران ، وانها اتخذت نفس الطريق ، وسلكت نفس الأسلوب : صداقة لتقديم مســاعدات ، فعقد معاهدة ، فمحاولة لقيام ثورة اشتراكية •

ففى صيف عـــام ١٩٢٠ م زار أنور باشا موسكو ، للتفاوض مـــع الشيوعيين هناك ، بشـــأن تقديم مســاعدة روســية لدولـــة تركيـــا الحديثة ... ثم كتب عن نجاح هـــذه الرحلة التى أطلق عليها بضعهم « رحلة الحج الى موســكو » ما يلى :

« لقد توجت هذه الرحلة الى موسكو بنجـــاح لم نكن ننتظره ، اذ تعقمت جذور الصداقة بيننا ، وبين روســـيا ، فالمدافع قـــد عبئت بالذخيرة ، وتوشك أن تطلق من تلقاء نفسها ، ومعنى هـــذا نهاية سلطة الاستعمار الانجليزى فى آسيا وفى مصر . وحق للعـــالم الاسلامى أن يرفع رأســـه — معتمـــدا على روســـيا — كى يتخلص من العبوديـــة الانجليزية » .

وصلت الصداقة السوفييتية التركية فى عـــام ١٩٢٠ م ، الى الحد الذى عرضت فيه موسكو على كمال أتاتورك — وكان يحارب فى جبهات متعدده ، لتأمين قيام تركيا الحديثة — أن ترســـل له قوات روســـية لمساعدته ... وزاد الاتصـــال بين الدولتين ، وتعمقت صـــلة الترابط بينهما بواسطة المعـــاهدة ، التى عقدت فى مارس ســنة ١٩٢١ م والتى قررت مصير أرمينية ، بتقسيمها بين تركيا وروســـيا .

احتلت روسيا — طبقا لنصوص هذه المعاهدة — جزءا من أرمينية ، على الرغم من اعلانهـــا فى البيـــان الأول ، الـــذى أذاعته الحكـــومة البلشفية ، أن تكفل حرية شعب أرمينية فى تقرير مصيره السياسى ، عن طريق استفتاء شعبى حر .

كان هناك شبه كبير بين هـــذه المعاهدة ، والمعـــاهدة التى أبرمتها روسيا مع ايران ، بل تكاد تكون الحروف واحـــدة ، وركزت فيهـــا — كما كان الحال فى المعـــاهدة مع ايران — على كلمات رنانة مثل : الحرية ، والاستقلال ، وحرية تقرير المصير .. و .. و .. الخ .

حاولت روسيا اضرام نار الحركة الشيوعية داخل تركيا ، فكلفت عملاءها بتأسيس الحزب الشيوعى التركى ، وقدمت لهم مساعدات مالية كبيرة ، غير أنهم اصطدموا بالحقيقة ، التى غابت عن أعينهم ، وهى أن الفلاحين الأتراك محافظون ، يتمسكون بالتقاليد الاسلامية تمسكا لا يسمح لهم بالتجاوب مع شعارات الثورة الاشتراكية الواردة من موسكو ، كذلك لم يكن رجال السلطة الجديدة ، مستعدين لتقبل مثل هذه الشعارات ، ذلك أنهم — وان كانوا قد ألغوا الخلافة ، ومضوا بالدولة الى طريق بعيد عن الاسلام — لم يكونوا على استعداد لاعتناق أيديولوجية ، تنكر وجود الله علنا ، وتتخذ الالحاد السافر طابعا خاصا لها .

لم تتراجع روسيا كلية ، بل هى تتربص لتحويل تركيا الى دولة ماركسية ، ولولا دخول تركيا فى حلف شمال الاطلسى ، لشهدت البلاد تحركات أوسع لعملاء الماركسية الالحادية .

فى المنطقة العربية :

لعبت موسكو دورا نشطا فى مناطق بعيدة عن حدودها داخل العالم الاسلامى ، فقد استغلت الحركات الوطنية ، التى هبت فى البلاد العربية للمطالبة بالاستقلال ، فسعت الى اقامة ترابط بين حركات التجديد والاصلاح الوطنية ، وبين الحركات الشيوعية ، وأعطت الاشارة لعملائها الشيوعيين ، من مواطنى تلك البلاد بأن يتحركوا بحرية ، ودون توقف ، فليست هناك مواقف دولية تجبرهم — كما هو الحال مع السلطة المعترف بها دوليا — على الحد من نشاطهم ، فهم ليسوا حكومات ، أو منظمات دولية ، ملتزمة بقانون ، وقواعد دولية معينة . تحرك هؤلاء طبقا لأوامر روسيا ، وبمساعدتها ، واشتبكوا مع الاستعمار ، آملين أن يهزوا أرض الشعوب الاسلامية — عن طريق هذا الاشتباك — ويلينوها ، ويحدثوا بها شقوقا وفجوات ، تكون صالحة لوضع بذور الثورة الاشتراكية .

استخدمت موسكو هــذا الأسلوب فى شــمال افريقيا ، فنجحت فى ارســال مقدمات الغليان الاشــتراكى ، ولكى لا يظهر الشيوعيون بمظهر ، قد ينفر المسلمين منهم ، فقد مارسوا نشاطهم تحت راية القومية العربيــة ، لأنهم رأوا أنهم يستطيعون تحت هــذه الراية مخاطبــة العربى — الذى يتمسك بالاسلام ، وبتعاليمه ، تمسكا لا يعرف المرونة ، ولا يميل الى المهادنة مع أعدائه — بأسلوب يؤثر فيه ، لأنه ينظر الى الشيوعى على أنه رجس ودنس ، وينبــذ الشيوعية المطبوعة فى موسكو ، لأنها تنكر وجــود الله ، وتعمل على تخريب بنــاء الأسرة ، والقضــاء على السيادة الأبوية المطلقة •

لم يختلف الوضــع فى فلسطين فقــد بدا للسوفييت أنهــا مكان مناسب لتقفز منه على البــلاد العربية المجــاورة ، ولم يكن هــذا راجعا الى أن هــذا البــلد ، كان بؤرة قلاقل منــذ الحرب العالميــة الأولى فحسب ، بل رأت موســكو أيضا فى اليهود الشرقيين ، الذين هاجروا الى فلسطين ، خامة بشرية تصلح لتلقى الأفكار الشيوعية ، فلديهم من الصفات ما لا يتعارض مع اعتناقها ، ونشر تعاليمها بين سكان هــذه المنطقــة •

وعندما اشتد النزاع بين العرب واليهود ، حاولت موســكو أن تكــسب أتباعا لها فى صفوف العرب ، وكانت تعتقد أن الفلاح العربى الفقير ، حقلا مناسبا لبذر بذور الاشتراكية ، فتصــورت أنه انســان يمكن اقناعه بتعاليم الشيوعية ، ولم يكن هــذا ســوى تخيلات فقط ، فالواقع أن عمــلاء موســكو ، لم يصادفوا آذانا صاغية بين المسلمين ، اللهم الا حفنة قليلة ، لا وزن لهــا ، لأن العرب يتمســكون بدينهم ، ويرتبطون بتعاليم الاســلام ، ويتصدون لكل اغراءات موســكو ، وكان ذلك هــو الصخرة ، التى تحطمت عليهــا محاولات الشيوعيين ، للنفوذ الى المجتمع الاســلامى •

وعندما ازدادت حـدة النزاع بين العرب واليهود ، بدا لموسكو أن الوقت قد حان لتنظيم أتباعها فى فلسطين فى جناحين متباعدين :

أحدهما يتخذ طريقه بين اليهود •

والآخر بين العرب •

وسار النشاط فى هذين الفرعين منفصلا تمام الانفصال ، وبشعارات مختلفة ، فقد كانت الشعارات عند اليهود هى الاشتراكية ، أما عند العرب ، فقد كانت الشعارات هى التحرر الوطنى •

وعندما ألغى الانتداب البريطانى ، وطرحت المسألة على هيئة الأمم المتحدة ، ظنت موسكو أن الأمل فى قيام الاشتراكية فى الدولة اليهودية الجديدة ، أقرب الى التحقيق منه فى دولة عربية فى فلسطين ، فانحازت فى المناقشات الى جانب اسرائيل ، وهاجم مندوبها الدائم فى الأمم المتحدة — وكان يومئذ « أندريه جروميكو » وزير خارجيتها الحالى — العرب بألفاظ يعف لسان رجل الشارع العادى ، التلفظ بها ، فضلا عن مندوب دولة كبرى ، فى هيئة دولية •

ولا ينبغى أن يخدع المسلمون بما تقدمه روسيا لبعض الدول العربية من مساعدات عسكرية ، فليس القصد منها أن تستعملها فى استرداد فلسطين ، بل — وهذا هو السبب الرئيسى — مساعدة النظم المتطرفة على البقاء فى الحكم ، حتى يتسنى لعملاء روسيا ، فى ظل هذه المساعدة ، بلشفة المجتمع ، استعدادا للتحول الى الماركسية الالحادية • ومن الأدلة على ذلك ، ما قاله زعيم الشيوعيين فى ايطاليا ، لأحد المسئولين العرب — أثناء قيامه بجولة فى أوروبا — ردا على شكوى المسئول العربى له ، بركود ، وتجميد الوضع فى المنطقة ، وكان ذلك قبل حرب رمضان ، فقد قال الزعيم الشيوعى الايطالى : « لماذا تقلقون من هذا الوضع ، انه يساعد على تعميق بذور الاشتراكية فى المجتمع » •

وأوضح من هــذا موقف روسيا أثناء حرب رمضان :

ــ فقد حاولت تصديع الجبهة بين ســوريا ومصر ، فأوحت الى مصر بأن ســوريا وافقت على وقف اطلاق النــار ، ولم يكن ذلك سوى أكذوبة ! ، وعلى لســان من !! على لســان سفير الاتحــاد السوفييتى فى القــاهرة •

اذا كان رجال السياسة عندهم يرتكبون هــذا الافك صراحة ، على الرغم من العــرف الدولى ، الــذى يقضى بالحرص والتحفظ فى المجــال الدبلوماسى ، فما بال الآخــرين الذين يحملون سمومهم لنشرهــا بين المجتمع !!

كذلك أوقفت روسيا شحن الأسلحة وقطع الغيار ، والحرب دائرة ، وطلبت الثمن نقدا ، وكانت تظن أن الدول المشــتركة بقواتها فى الحرب ستعجز عن الدفع ، فترغم على تقديم تنازلات ، تقوى مركز الشيوعيين ، وتقربهم من السيطرة على السلطة سيطرة كاملة •

لا أريد الاسترسال فى تناول نشاط الشيوعيين وتحركاتهم بالشرح والتحليل داخل كل قطر عربى على حدة ، لأن ذلك يطول شرحه ، ولذا سأعرضه من الزاوية المشتركة بين الأقطار العربيــة ، التى ســاعدت الظروف الدولية ، على وقوعهــا بين مخــالب الأخطبوط الشــيوعى ، فاكتوت ــ ولا زال بعضها يكتوى ــ بنــاره •

كانت المنطقة العربيــة مسرحا لحركــات تحررية ــ على مــدى المــائة سنة المــاضية ــ ، اتخذت طابع القومية شعارا لها ، تقليدا لمــا حــدث فى أوروبا فى عصر القوميات ، وتجنبا للوقوع فى صراع دينى ، قــد يعيق مســيرة التحــرك نحــو التخلص من الاستعمار ، الذى كان يتعقب كل انتفاضة دينية ، بطريقة أكثر شراســة ودهاء ، من أســلوب قمعه للحركات القومية ، لأنه كان يرى ــ بنــاء على تجارب ســابقة ــ

أن زعماء الحركات القومية ، أقرب اليه ، من زعماء الاصلاح الدينى ، وأن كثيرا من المفكرين القوميين يميلون الى تطبيق النظم الغربية ، فى مجالات السياسة والتعليم والقضاء ، أما رجال الدين ، فيرفضون كل ما هو غربى رفضا باتا ، لا يفرقون فى ذلك بين ما هو متصل اتصالا مباشرا بالتقاليد والعادات الدينية ، وبين ما من شأنه النهوض بالمجتمع والدولة فى المجالات العلمية ذات الطابع الحضارى •

وعندما حصلت البلاد العربية • على نوع من الاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية ، مكنها من المشاركة فى تسيير شئونها ، أتيح لحركات الاصلاح الدينى فرصة الظهور على مسرح الأحداث ، فتكونت الجمعيات الدينية ذات الطابع السياسى ، وكان من الطبيعى أن تخوض صراعا مع الحركات القومية ، التى كانت قد نمت ونضجت فى ذلك الوقت ، ورغم نضوجها • فقد استطاع الاتجاه الدينى رغم حداثته أن يكتسح الساحة ، فاكتسب أتباعا ، كان معظمهم من الشباب المثقف ، فأصبح له كيان ووزن فى توجيه سير الأحداث على المسرح السياسى ، غير أن نشاطه لم يتعد المجال الشعبى ، لأنه كان بعيدا عن مراكز السلطة •

اشتد الصراع الأيديولوجى بين الحركات الدينية ، وبين الحركات القومية ، وعلى رأسها حملة الأيديولوجية الشيوعية ، الذين تستروا وراء شعارات قومية ، لأنه لم يكن مسموحا لهم بتكوين حزب شيوعى ، غير أنهم كانوا يعلنون عن ولائهم للسوفييت ، وتعاطفهم مع قادة الالحاد على رءوس الأشهاد ، فقد كتب أحدهم — وهو من خريجى الأزهر — مقالا يرثى فيه « ستالين » تحت عنوان : « طبت حيا وميتا يا ستالين » •

ظهر هذا المقال فى جريدة كبرى ، تصدر فى عاصمة بلد اسلامى ، فكان دليلا على أن الصراع الأيديولوجى ، انتقل الى مرحلة المواجهة السافرة بين التيار اليمينى ، والتيار اليسارى — ، الذى دعا الى الشيوعية بأسلوب أكثر وضوحا من ذى قبل — ، وأن صراعا

دمويا يوشـــك أن يقع بين الجانبين ، للوثوب الى مراكز السلطة ، التى كانت تهتز تحت أقدام الحكام آنذاك •

ولكن سرعان مـــا قفز الى السلطـــة شـــباب ، لم تعرف هويتهم بالضبط ، اللهم الا مـــا كانوا يحملونه من شـــعارات : الاســـتقلال ، الحرية ، الوحـــدة العربيـــة •• الخ •

اشتد الصراع بين اليمين واليسار ، للاستحواذ على هؤلاء الحكام الجدد ، فرأت القوى العظمى — شرقية وغربية — أن الفرصة سانحة ، للقضـــاء على التيار اليمينى — الذى يهـــدد مصالحها فى المنطقة — بيد الوطنيين أنفسهم ، فركزت المخابرات الأجنبية نشاطها على الوقيعة بين زعمائه ، وبين الحكام الجدد ، حتى وقعت الواقعة • فأصيب التيـــار اليمينى بنكســـة حادة ، أخرجته من ساحة النضـــال • ويلخص بعض المفكرين الأســـباب الرئيسية لنكبة التيار اليمينى فيما يلى :

١ — نقص خبرة قادته ، وقلة تجاربهم فى المجال السياسى •

٢ — نشوء الخلافات بينهم • ويرى بعض الخبراء أن هذه الظاهرة كانت نتيجة لتسرب عناصر انتهازية ، الى داخل صفوف القيـــادة ، ظنا منها أن هذا التيار ، أصبح قاب قوسين أو أدنى من تولى السلطة ••

٣ — اصطدامهم اصطداما مباشرا مع القـــوى الوطنية الجديدة ، التى تسلمت السلطة من الاستعمار ، وهى بطبيعة الحـــال لا تميل الى هـــذا التيار ، نتيجة تأثير موجات دعائية أجنبية •

٤ — اجماع المعســـكرين ، الشرقى والغـــربى على ضرورة القضاء على التيار اليمينى ، لأن كـــلا منهما وجـــد فيه خطرا على وجـــوده فى منطقة العـــالم الاســـلامى •

رأى الحكام الجدد أن الاصطدام بالقوى الغربية ، هـــو الورقة

الأخيرة التى تحميهم من غضب الرأى العــام فى بلادهم ـ لأن الشعوب تسير وراء من يعلن النضال ، ضــد المستعمرين الذين أذاقوهم أصنافا من العذاب ـ فأقدموا على هذه الخطوة ، رغم ما فيها من أخطار قــد تطيح بهم •

عندما رأوا العواصف تهب عليهم من كل جانب ، اتجهوا الى اليد الأخرى الممدودة لهم ، يد روســيا ، فاستعانوا بها فى المواجهة مــع الغرب • وكانت مساعدة روســيا فى بادىء الأمر ، مقصورة على التأييد دبلوماسيا ، فى المجــال الدولى ، وعلى توريد بعض الأسلحــة ، التى تساعدهم على حماية أنفسهم ، من الانتفاضات الشعبية •

وعندما لاحظ الحكام السوفييت ، أن خط الرجعة ، قــد قطع على هؤلاء الحكام ، وأنهم أصبحوا فى موقف يتعسر معــه مهادنة القــوى الغربية ، بدأوا يتقدمون على صعيدين •

ـ دولى ، بعقد المعاهدات والاتفاقيات السرية ، التى تحــكم ربط هــذه البلاد بعجلة الاتحاد الســوفييتى •

ـ وشعبى ، بالضغط على السلطــة ، لتسمح لعمــلاء الشــيوعية بالتحرك بين الجماهير بحرية ، ولتمكينهم من تولى المناصب الحساسة ، فى مجالات التربية والاعلام ، والمؤسسات الاقتصادية ••• الخ •

هجــــوم ســـافر :

استغل عمــلاء الماركسية وضع العلاقات مع الاتحاد السوفييتى ، فتغلغلوا فى طبقات المجتمع عن طريق السيطرة على وسائل الاعــلام ، ولكنهم لم يصادفوا نجاحا كبيرا ، اللهم الا التأثير على حفنة قليلة فى الأوساط العمالية ، وبين شباب الجامعات ، فاضطروا الى ايهام العامة ـ وللأسف وقع فى هذا الفخ بعض المفكرين وعلماء الدين ـ بأن الشيوعية

لا تحارب الاسـلام ، وكانت هـذه مجرد مناورة تخفى وراءها الحقيقة الصارخة ، فالشيوعية كانت — وما زالت وستظل — تحارب الاسلام ، لأن فلسفتها تقوم على انكار وجـود الله — كما شرحنا ذلك سابقا — • ولازال دعاتها ملتزمين بهـذه الأيديولوجية التى وضـع « ماركس » أسسها ، فقد نشرت الجمعية الاتحادية لنشر العلوم السياسية والفنية فى موسكو فى عـام ١٩٦٨ م كتيبا (ترجم هـذا الكتيب الى العربيـة ، ووزع فى كثير من بلاد العـالم الاسلامى ، فقد أطلعنى أحـد الطلبة فى جامعة أحمد بلو بنيجيريا على نسخة منه ، وأخبرنى بأنه يبـاع فى العاصمة « لاجوس ») بقلم « كليموفيتش » تحت عنوان :

« الاسـلام نشـوءه ومستقبله » •

جـاء فيـه :

« ان شعوب الاتحاد السوفييتى العائشين مـع بعضهم ، بمودة تغلبوا على التأخر لاقتصادى والثقافى ، الذى كان مسئولا عليهم فى المـاضى وأحرزوا تقدما اقتصاديا لم يسبق لـه مثيل ، وثقافة زاهرة شـأن البـلاد الاشتراكية •

وقـد تغير أيضـا المظهر الأدبى للشعب السـوفييتى ، فأصبحت تعاليم « ماركس » و « لينين » العظيمـة ، الخاصـة بطبقة العمـال أساسا — لا ينقض — لفكرتهم عن الهيئة الاجتماعيـة •• ولـكن لا يمكن الانكار بأنه لا يزال راسخا فى ذهن بعض النـاس بقايا مـن النظـام الاستغلالى ، التى لا تلائم المظهر التقدمى للشعب السوفييتى المستند عـلى العلم والاختبـار • ان محـاربة هـذه البقايا ، التى لا تختص بطبقة معينـة من الشعب فى بلادنا هى جزء لا يتجـزأ من التعاليم الشيوعية للعمـال ، ولها أهميـة عظمى فى وقت تتحـول فيه تدريجيا من الاشتراكية الى الشيوعيـة ، ومن ضمن هـذه البقايا ، الخرافات الدينية المخالفة للعلوم •

« **ويمثل الدين الاسلامى** احدى هذه البقايا الدينيــة المحــافظ عليها من قبل جزء من سكان جمهوريات آســيا الوسطى فى القوقاز ، والقفقاز ، وتاتارية ، وباشكيرية ، وكــذلك فى بعض مناطق الجمهوريات السوفييتية الفيدرالية الاشتراكية الروســية .

« وينتشر هــذا الدين فى الخــارج ، وعلى الأخص فى عــدد من البــلاد الآسيوية والافريقية » .

ولم يكتف « كليموفيتش » بهــذا ، بل هاجم القــرآن والســنة النبوية هجوما مباشرا ، حيث قــال :

« يعتبر القرآن ، والســنة ، والشريعة كتب الاســلام المقدسة ، وقــد ألفت هذه الكتب فى القرون الوسطى ، فى زمن سيادة الاقطاع . وتبرز هــذه المؤلفات ، الجــو الطبقى ، وظلم الشعــوب المغلوبة . وليست هــذه المؤلفات ، الدليل الوحيد على المــاضى الأليم ، اذ لا تزال مبادئها ، تطبق كقوانين فى البلاد ، التى تتخذ الاسلام دينها الرسمى » .

ثم يبين الموقف الحقيقى للشيوعيين فى بلاد الاسلام ، فيقول :

« قــد اختلف التقدميون الشرقيون فى آرائهم كليــا مــع تعاليم القــرآن » .

ويرمى بالتأخر كل من يتمسك بالتعاليم الدينية :

« ويجب الملاحظة هنــا بأن أى دفاع عن الأفكار الدينيــة ليس الا مجهودا لمعاضدة التأخر الاجتماعى ، الذى أصــبح — أو على وشك أن يصبح — من ذكريات المــاضى » .

وادعى أن الايمــان بالله لا قيمــة له فى المجتمع :

« ولا تتفق مع التقدم الفكرة القائلة : بأن الاعتقاد بالله له قيمة فى الحيـــاة الاجتماعية » •

وأوضح « لينين » المعنى الحقيقى لهذه البيانات فقـــال :

« ان فكرة وجــود اللــه كان مفعولهـــا دائمـــا اخماد الحس الاجتماعى ، وتبديل شيء حى بشيء ميت • وما هى الا عبودية من أسوأ الأنواع • ولم تربط فكرة اللــه الفرد بالجتمع ، بل قيدت الطبقـــات المظلومة بالاعتقاد بالهية الظالمين » •

ثم أفصح عن مراده ، ألا وهـــو بيـــان أن الاسلام يقف حجـــر عثرة فى سبيل نشر مبادىء الشيوعية :

« ويستنتج مـــن دروس تـــاريخ ظهـــور الاســـلام ، وماهيتـــه الاجتماعية : بأنه كغيره من الأديان الأخـــرى عبارة عن فكرة محافظة تناقض العلوم ، وتغل أيدى النـــاس عن النشـــاط والاقدام على العمل المثمر ، وتعارض نشر المبـــادىء الســـوفييتية الحيوية فى العـــالم ، أى « المـــاركسية » ، و « اللينينية » ، ويمكن نسب تلك المميزات الى جميع عقائد وطقوس الاســـلام ، وأعياده العديدة ، وصيامه ، وزياراته للأماكن المقدســـة ، وعبادة الأئمـــة ، وغيرهـــا من العادات • وتتعلق جميع هـــذه القواعـــد والعـــادات ببقايا الآراء الشرقية القديمـــة ، القائلة بعزل الانســـان عن الانســـان ، والمشبعـــة بالفكـــرة الضالة ، المضرة : بأن اللـــه هـــو الذى يضمن برحمته حيـــاة هادئة ، ومرفهـــة للبشر ، لا اجتهاد الانســـان » •

وأوضح أن الشيوعية مستمرة فى كفاحها ضد الدين :

« ويستمر الحزب فى الكفاح ضد المعتقدات الدينية • باعتبارهـــا منافية للفكرة العلمية عن الدنيـــا •

« ومن المستحيل احراز التقدم الحقيقى ، قبل التغلب على البقايا الدينيــة ، وغيرهــا من الآراء ، التى أصبحت بالية ، وكذلك النظريات ، التى تضلل الانســان •

« ان الغاء الدين ، الذى ما هــو الا سعادة وهمية للناس ، عمل ضرورى لجلب سعادتهم الحقيقية » •

ولا يقصد بهذا الكتاب التأثير على المسلمين ، الذين يعيشــون فى الاتحاد السوفييتى ، فقد تم ابعاد الشباب عن الدين كليــة ، فأصبح ملحدا بلا استثناء ، يقول أحــد الشيوعيين ، الذين كفروا بهذا المذهب :

« ••• كان التنظيم الثالث ، الذى كنت عضوا فيه ــ كمــا كان ينتمى اليــه كل أعضاء الشباب فى المعهــد ــ يسمى « اتحاد الملحدين المناضلين » • فقد هــذا التنظيم أهميته كلية ، وأصبح لا لزوم له ••• فقد كانت مهمة هــذا التنظيم بالنسبة لنــا ــ أعضــاء منظمة الشباب ، والطلبة ــ لا مكان لها من الناحية العملية ، فقد تربينا ، دون أن نتلقى درسا دينيا ، فعقولنا خاوية من هــذا الجانب • وأقل ما يتصور : أن مهمة هــذا الالحاد لم يعد لها وجــود • اننى لم أقابل ــ فى مــدى العشر سنوات التى عشتها فى الاتحــاد الســوفييتى ــ انسانا واحدا من جيلى ، ليس ملحــدا » •

وانما يقصد به محاولة نشر الالحــاد فى البلاد الاســلامية عن طريق تداول مثل هــذه الكتب بين الشباب • والذى وقع فريسة الدعاية الشيوعية ، التى أوهمته فى بادىء الأمــر أن الشــيوعية لا تحــارب الاسلام ، حتى اذا ما انخرط فى التنظيم ، واستولت الدعاية البراقة على مشــاعره ، أعطيت لــه هــذه الجرعــة ، لتفصله كلية عن تقاليده ، وتدفع به الى دوامة المــاركسية • وليس من السهل عليــه التراجع ، كما أنه ليس من اليسير على نفسه الكفر بالمــاركسية ، اذا أظهرت لــه الأيام ، أن واقع تطبيقها يخالف ما جذبه اليها من شعارات •

لقد انطلق مؤلف الكتاب — فى هجومه على الاسلام — من مبادىء ، اتخذتها الدعاية الشيوعية • وسيلة لجذب الشباب الى صفوفها ، وهى :

التقدمية ، والعـــدالة الاجتماعية (أو الغاء الطبقات) ، والحرية ، والوعـــد بغد أفضل (أى جنة على هـــذه الأرض) •

فاذا ما بينا خداعها فى ذلك ، ظهر افتراء « كليموفيتش » وتضليله•

* * *

الفصل الثالث

بين الشعارات والتطبيق

التقدمية :

يدعى الشيوعيون أنهم « تقدميون » ، ويرمون كل من يعارضهم بالتأخر والتخلف ، وقد تأثر كثير من شبابنا المعاصر بهذا المبدأ ، غير أن الحقيقة خلاف ذلك ، لأن الظروف التى دفعت « ماركس » الى التفكير فى هذا المذهب ، هى وضع أوروبا الغربية الاقتصادى فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى :

– تمركز الأموال فى يد قلة من أصحاب رؤوس الأموال ، الذين ساعدهم تقدم الحضارة المادية على الاستمتاع بأموالهم بشتى الأساليب .

– ونقص أجور العمال ، وفقد الرعاية الاجتماعية والصحية لهم ، فعاشوا فى جهل مطبق تفتك بهم الأمراض جسمانيا ، ويهلكهم الحرمان ، وضيق العيش نفسيا ، حين يرون الدنيا فى بهجتها لدى أصحاب المصانع ، ويتطلعون الى المال وهو يسيل بين أيديهم – ذلك المال الذى حصل عليه هؤلاء بمجهود العمال الشاق – دون أن يحركهم الضمير للضيق ، والاهمال ، والشقاء ، الذى يعيش فيه العمال .

استغل « ماركس » هذه الظروف ، فدعا الى اثارة حقد العمال على أصحاب رؤوس الأموال ، وحرض على الاضرابات ، وحث على الانقلاب والاطاحة بأصحاب رؤوس الأموال فى الصناعة ، وبالنظام السياسى فى الحكم ، الذى يحميهم ، ويحمى استغلالهم .

فهل يسود هذا الوضع فى مجتمع غرب أوروبا اليوم ؟

« ان التقدم الاجتماعى الذى طرأ على المجتمع الصناعى فى الغرب فى القرن العشرين — وبالأخص منذ بداية النصف الثانى منه — قلل كثيرا من الفجوة فى العيش ، والمتعة بالحياة ، والمنظرة الى الانسان التى ساءت على عهد فلسفة ماركس •

« فزيادة الأجور ، والخدمات العامة المتنوعة ، وتحديد ساعات العمل اليومى ، والأسبوعى ، والأجازات السنوية ، والتأمين ضد العجز والشيخوخة ، وفرصة التعليم فى المراحل المختلفة ، التى تهيأ لأبناء العمال فى المصانع ••• وغيرها ، تكاد تجعل المصنع شركة بين العامل وصاحبه ، وليس بينهما فارق ، الا أن أحدهما يستخدم كل طاقته فى الادارة ، والثانى يستثمرها فى الانتاج •

وان التقدم التكنولوجى منذ الحرب العالمية الثانية ، كاد لا يدع لشقاء الانسان بكده فى العمل ، وباستهلاك طاقاته البدنية مكانا ، وأخذ يضع الانسان اليوم فى وضع صاحب الحركة بعقله قبل قدميه ، وبتفكيره ، وعلمه ، وفنه قبل يده وساعده •

« وقد حلل كاتب ألمانى مدى تأثر العمل بالآلية فى الصناعة فى المجتمع التكنولوجى المعاصر ، وتساءل :

« هل انتشار الآلية سيزيد فى البطالة فى العمل ، أم سيخلق فرصا أخرى جديدة واسعة فى مجالات الكسب ، والعمل ، مما تستلزم حتما زيادة فى عدد الموظفين الفنيين ، وان كانت ستنقص من عدد العمال العضليين ؟

« واذا كانت نتيجة التوسع فى المجال الآلى فى الصناعة والخدمات معا ، هى زيادة الثقافة الفنية لمواطنى المجتمع المعاصر التكنولوجى ،

وبالتالى زيادة عدد الموظفين عن العمال ، وإنكماش الثقافة العماليــة التقليدية المحدودة ، وبالتالى انكماش عدد العمال اليدويين ••• فان ذلك ذلك ينذر ببدء انتهاء عهد النقابات العمالية، التى جاء تأسيسها عقب الأزمات المتكررة بين العمــال ، وأصحاب رؤوس الأمــوال ، على عهد الثورة الصناعية، منذ بداية القرن التاسع عشر، ومعنى ذلك أن فلسفة «العمل» ، التى قامت عليها الفلسفة المــاركسية ونظام الحكم الماركسى — اللينينى فيما بعد — ستفقد أهميتها فى المجتمع المعاصر ، وستنتهى قيمتها كلية عند انتشار الآلية فى الصناعة ، والخدمات فى مجتمع الغد •

والاشتراكية فى نظام الحكم ، التى تعطى السيادة للعمال التقليديين، وتعدهم بالحكم فى المجتمع ••• لا يصبح أمرهــا محتما ، ولا تصبح سيادتها ضربة لازب فى المجتمع العلمى ، كمــا تبشر المــاركسية ، ودعاة الانقلاب ، والثورات الاجتماعية •

ان « كارل ماركس » قــد ربط تفكيره الفلسفى بأوضاع القــرن التاسع عشر ••• فاذا نودى اليوم فى المجتمعات المــاركسيه ••• (أو فى المجتمع الاســلامى) ، بـــ (التقدمية) فى نظام الحكم ، عن طريق التبشير بالقوة العمالية العالمية ، وأيضا ثورة الطبقة العــاملة ، فذلك ينطوى على دعــوة الى رجوع (التطور الاجتماعى) ، والتكنولوجى ، والوقوف به عند حد القرن التاسع عشر ، حتى يمكن أن ينكشف الظلم فى استغلال العامل من صاحب العمل ، ويبــدو البعد فى الهوة السحيقة فى وضع كل من العامل ، وصاحب رأس المــال فى الحياة ، والشقاء ، والاستمتاع فيها ••• وعندئذ فقط يكون لفكر « ماركس » مكان فى حل ما بين العامل ، وصــاحب رأس المــال من مشاكل ، هى مشاكل الظلم ، والانحراف فى استثمار المــال » •

فاذا وصف (كليمونتش) — والمــاركسيون — التمسك بالدين بأنه « رجعية وتخلف » ، فلا ينطبق هــذا الوصف الا على المــاركسية ،

لأن « صلاحية الدين لم ترتبط بوقت معين ، ولا بمشاكل لا تتكرر ، اذ هو للطبيعة الانسانية ، بما لها من خصائص ، أينما وجدت ، وفى أى وقت كانت، وهدفه أن يحول دون الانحراف فى السلوك، سواء فى المال ، أو فى العلاقات البشرية ، بينما الفلسفة الماركسية قد ارتبطت بمشاكل اقتصادية معينة ، وأوضاع اجتماعية معروفة ، خلقتها ظروف خاصة ، ليس لها طابع الاستمرار ، وهى ظروف القرن التاسع عشر ، والثورة الصناعية ، التى تبدلت تماما فى القرن العشرين » •

من أحق بوصف الرجعية ، أهو الماركسى ، الذى يدعو الى فلسفة ، ارتبطت بأوضاع انتهت ، أم المتدين ، الذى يتمسك بتعاليم ، تتعلق بتقويم أخلاق الانسان ، والانسان هو هو لم يتغير عن الماضى ، ولن يتبدل فى المستقبل ؟

الغاء الطبقات :

من الشعارات التى ينادى بها الماركسيون : أن الفلسفة الماركسية ، تدعو الى نقل الملكيات الى الدولة ، كى تزول الفوارق بين الأفراد ، فيتساوى الكل فى الانتفاع بالدخل القومى •

وقد جذب هذا الشعار عددا كبيرا من الطبقة العمالية والأوساط الفقيرة ، فتعاطفوا مع دعاة الماركسية — أو انضموا اليهم — فى البلاد العربية ، الا أن واقع البلاد التى تطبق الماركسية ، يكشف النقاب عن الخداع فى حمل هذا الشعار ، فالطبيقية موجودة فى الاتحاد السوفييتى ، بصورة أفظع مما هى فى المجتمع الرأسمالى ، فليس لأصحاب الطبقة الدنيا من فرص فى الحياة مثلما لأصحاب الطبقات الأعلى ، فلا يتساوى أولادهم فى مجال التعليم ، يصف « ليونهارد » حالة الطلبة فى معهد المعلمين العالى فى موسكو ، بعد أن صدر قرار فى ٢ أكتوبر سنة ١٩٤٠ بقطع المنح الدراسية عنهم أثناء الحرب • فيقول :

« رأيت فى تلك الأيام عيونا باكية ، اذ حتمت تلك الظروف على

كثير من الطلبة أن يفارقونا ، وكان الموقف الدرامى ، الذى تأثرت بــه بنوع خاص ، وداع طالب أحمر الشـــعر ، ينحـــدر من أسرة فقيرة ، تشتغل بالزراعة ، فقد كان مجتهدا فى دراسته ، يحرص أشـــد الحرص على تحصيل العلوم ، والقيام بالواجبات الدراسية ، لأنه كان يتمنى أن يصبح مدرسا لتلاميذ المرحلة المتقدمة فى المدارس ، وكانت تبدو عليه — قبل صدور هـــذا القـــانون — علامات السرور ، كلما تذكر أنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أمله •

« ولكن لم يكن الطالب الوحيد ، فقد كان عدد الطلبة الذين يتركون لمعهد — لأنهم من أسر فقيرة لا تستطيع أن تصرف عليهم — فى ازديـــاد مستمر ، والحقيقـــة أنـــه لم يبق فى المعهد الا **أبنـــاء وبنـــات الطبقة الحاكمة ، والضباط والموظفين الكبار** •

ثم بين أن تولى الوظائف العليا فى الاتحـــاد الســـوفييتى ، كان مقصـــورا على خريجى المعـــاهد العليا ، وبصـــدور هـــذا القـــرار ، أصبحت — تلقائيا — مقصورة على أبناء الطبقة الحاكمة :

« فالطبقة البيروقراطية الحـــاكمة ، التى تكونت منـــذ نهـــاية العشرينات ، وثبتت سلطتهـــا بحركـــة التطهير — امتدت من ١٩٣٦ م الى ١٩٣٨ م — التى أطاحت بـــ « المجموعة القديمة » ، بدأت فى عـــام ١٩٤٠ م فى اتخـــاذ تطبيق وســـائل احتكار السلطة ، ومنع دخـــول « الطبقات الأخـــرى » لمشاركتها فى الحـــكم ، وبهذا خطت الخطوة الأولى ، نجـــو جعل السلطة ، والامتياز الطبقى ، وقفا على أبنـــائهم ، يرثونه من بعدهم » •

بلغ الامتياز الطبقى فى المجتمع الشـــيوعى ، أقصى ما يتصـــور العقل وجوده فى أى مجتمع آخر ، فبينما تذكر الأنباء أن « تشرشل » كان يعيش أثناء الحرب مثل مواطنيه ، ينقل لنا « ليونهارد » صـــورة أخرى عن حياة الطبقة العليا فى الاتحاد الســـوفييتى :

« لم يشعر أعضاء الحزب ، ولا كبار موظفى الحكومة ، ولا العاملين فى المؤسسات الاقتصادية بنقص فى المواد الغذائية فى بيوتهم فى هذا الوقت العصيب ، بل كانوا يعيشون كما لو كنا فى حالة السلم ، لأنهم كانوا يحصلون على كل شئ من المحلات المتوارية خلف الكواليس .

وبجانب هذه المحلات المقصورة على « الطبقة الممتازة الخاصة » ، وجد أيضا أماكن خاصة للحصول على الحاجيات المعيشية للمهندسين ، ونساء الضباط ، وأفراد الطبقة المتوسطة « المفضلة » ، الذين لم تفرض عليهم حياة مثل حياة الجماهير ، ولكن وضعهم الطبقى فى الحزب لم يمكنهم من الوصول الى المنابع ، التى توزع على « الطبقة الممتازة الخاصة » .

أما بقية الشعب ، فكان مجبرا أن يعيش على أى كيفية .

كذلك ظهرت المعاملة الطبقية فى الاتحاد السوفييتى مع عملاء الماركسية من الدول الأخرى ، فقد تكون ما يسمى بـ « جبهة الشيوعية العالمية » ، وعومل أعضاؤها — وهم من جنسيات مختلفة — معاملة متفاوتة :

« ... وكما وزع هؤلاء على أماكن السكن طبقا لطبقاتهم الحزبية ، وظهر الفرق واضحا بين طبقة وأخرى ، كذلك اختلفت معاملتهم بالنسبة للخدمات الأخرى ، فكل الأعضاء الذين كان نشاطهم داخل الجبهة فى المقر الرئيسى ، كانوا يحصلون على ثلاث وجبات يوميا فى مبنى العمل ، وهو قصر الجوالة سابقا ، والزعماء الكبار ، الذين كانوا يقيمون فى الفندق الجميل « باشكيرية » ، كانوا يحصلون — بالاضافة الى الوجبات الثلاثة — على طرد كبير ، ملئ بأصناف الفواكه ، والحلوى ، ويرسل الى محل اقامتهم .

أما الباقون من أعضاء الجبهة ، فيحصلون على ما يحتاجون اليه

من أغذية ، من محـل خاص بهم ، يوجـد فى الدور الأرضى لفنـدق « باشكيرية » . يحصلون على الوجبـات الثلاثة ، وعلى مقـدار مـا يأخـذه عامل فى بطاقـة التموين ، وبين الحين والحين يـوزع عليهم بعض المـأكولات الخاصـة .

كان هـذا وضع العاملين فى جبهة الأحزاب الشـيوعية العالمية ، كل على حسب قيمة ما يقدمـه فى العمل السياسى ، نظام التقسيم الى طبقات فى كل شئ ، فى السكن ، والأكل ... و ... و ... الخ طبقة تعلو الأخرى ، حتى القمة » .

لم يكن هـذا التمييز قاصرا على المجتمع السـوفييتى ، ولكنه يطبق فى كل دولة ، قلدت روسـيا فى تطبيق الشيوعية ، يصف الشيوعى القـديم « ليونهارد » التمييز بين طبقـات الحـزب الشـيوعى فى ألمـانيا الشرقية ، فيقول :

« كان تمييز القياديين ، وتفضيلهم على الآخرين ، احدى المساوىء الكبرى ، والسبب الدائم « للمغص السـياسى » ، فلم أعـرف أنـا ، وأصدقائى ـ الذين نشـأنا فى الاتحـاد السـوفييتى ـ هنـاك شيئا آخـر ، ولم نر فى بادىء الأمـر غضاضـة فى التفضـيل المـادى لقادة الحزب فى الدولة ، وفى المجـالات الاقتصـادية : نعـم ! تبين لى قبل ذلك ـ فى عـام ١٩٤٢ م فى « كاراجندا » ـ أن من الظلم أن يكون هنـاك فى زمن الحرب ، فرق شـاسع ، فالجمـاهير العريضـة من العمـال ـ وكذلك أيضـا كثير من أعضاء الحـزب ـ **يعانون من ألم الجـوع القاتل** ، **بينمـا لا يشـعر بعض القيـاديين بأى نقص فى المـواد الغذائية عندهم** ، ولكنى اعتبرت تفضيل القياديين بأنه مبالغـة فقط ، وليس هـو الحقيقة بذاتها .

دفعت مصـادفة الى التفكير فى هـذه المظاهر : كنـا فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ م فى بداية الحملة الدعائيـة الكبيرة للوحـدة « وحـدة

الأحزاب الألمـانية فى حزب الاتحـاد الاشتراكى الألمـانى » • كنت آتيا من مكتبى ، وأردت الذهاب الى صـالة الطعام فى اللجنة المركزية ، فاستوقفنى على السلم رجل حسن المظهر والملبس ، متوسط العمر، قائلا:

ـ لا تؤاخذنى أيها الرفيق ! هل تعمل هنا ؟

ـ نعم ! فى قسم الدعاية السياسية •

ـ هـذا ما أريده بالضبط ، فأنا عضـو فى الحزب الشيوعى فى ألمـانيا الغربية ، جئت الى هنا بنـاء على دعـوة وجهت الى ، وقـد تسلمت منذ لحظة « ماركة » للأكل ، ولكنى لا أعرف أين صالة الطعام !

ـ هذا يتوقف على نوع « المـاركة » التى معك •

نظر الى مندهشـا ، ثم أطلعنى على نوع « ماركته » ، لقد كانت واحـدة من الطبقة رقم ٣ ، وهو نوع يعطى « للعـاملين غير المهمين » ، فشرحت له كيفية الوصول الى مكان تناوله الطعام •

ـ أخبرنى ! هل يوجد أربعة أنواع مختلفة من « الماركات » ؟

ـ طبعا يوجد أربعة أنواع مختلفة من المـاركات ، تبعا لعمـل القيادى ، فالاثنان الأخيران هما للعمال الفنيين والمستخدمين •

ـ نعم ! ولكن ••• أليس الكل رفقاء ؟

ـ طبعا ! أيضـا عاملات النظافة ، والسـائقون ، والحراس ، كل أولئك أعضـاء فى الحزب ، انضموا اليه بعد اختبار •

نظر الى فزعا ، ثم قال :

ـ ماركات مختلفة ، وطعـام مختلف •• ولكن الكل رفقـاء !!!

أدار ظهره دون أن يجيبنى ، وذهب ••• وبعـد لحظات • سمعت صرير الباب الرئيسى ••• لقد غادر مبنى اللجنة المركزية •

اتجهت الى صالة الطعام ممعنا التفكير فيما حدث ، فاخترقت الحجرات التى تتناول فيها الطبقتان رقم ٣ ، ٤ — وهما السفليتان — طعامهم ، فاعتراني شعور بالانقباض ، عندما فتحت باب القسم الخاص بطبقتنا • فهنا — على المناضد المغطاة بالمفارش البيضاء — يتناول العاملون من الطبقة العليا طعامهم المكون من أصناف متعددة •• غريب أنى لم ألحظ ذلك قبل اليوم قط !! » •

ثم يستطرد فى وصف حياة القادة فى « فللهم » الفخمة ، وفى بيان الطبقية فى الامتيازات المادية ، التى تقدم للقياديين فى الجهاز الادارى ، والاقتصادى ، وللعلماء ، والاخصائيين ، والشعراء ، والفنانين ، ويعلق على ذلك بقوله :

« لم يصدر بيان رسمى بذلك اطلاقا ، فاذا تحدث المرء مع « أحد المخلصين للينينية » حول هذا الموضوع ، يجيبه ببساطة : « حماة الدولة ! فالرفقاء يكلفون بعمل كبير ، ولذا فمن المسلم به أن يتخلصوا من الهموم المادية » • من الممكن أن يكون هذا صحيحا ولكن ••• ألم يكلف العمال فى المصانع والمناجم ، والقياديون من الطبقة الدنيا « الذين لا يحصلون على هذه الامتيازات » أيضا بعمل شاق ، يؤدونه ببذل كل ما عندهم من طاقة ؟ » •

هذا هو المجتمع الشيوعى ، طبقات ، بعضها فوق بعض ، لا على أساس قوى الفرد الذاتية ، ولكن طبقا لولائه للحزب ، فالدولة — وهم أفراد قلة — صادرت الأموال ، مدعية أنها ستزيل بذلك فوارق الطبقات ، فاذا بها تتحكم فى مصير أفراد الشعب ، تتخم عملاءها بالأموال ، وتترك الآخرين يصارعون البؤس والفقر والحرمان ، بعد أن سلبتهم أموالهم ، وسدت فى وجوههم طرق تحصيل الرزق •

* * *

أمـــا الاســـلام ، فقد عالج مشكلة تكديس المـــال بأسلوب يقضى على الطبقيـــة ، ويحـــول دون ظهـــور الحقـــد الطبقى فى المجتمع ، فالمسلمون أمـــة واحـــدة •

﴿ ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ (١) •

يشعر الأفراد فيها بأنهم جســـد واحد ، يتألم كل لمـــا يصيب أخاه من ســـوء ، يقول النبى صلى الله عليه وسلم :

« مثل المؤمنين فى توادهم ، وتراحمهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجســـد الواحد ، اذا اشتكى منه عضو ، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » •

ولا يقف الأمر عند الشعور ، بل هـــو مســـئول عن تخفيف الآلام عن أخيه ، بازالة أسبابه ، ســـواء كانت نفسية أو مادية •

فأزال الاسلام التوتر النفسى ، الذى قـــد يحدث لبعض الأفراد ، عندما يفكر فى وضعه الاجتماعى ، يقول الله تعالى :

﴿ انما المؤمنون اخوة ﴾ (١) •

﴿ يأيها الذين آمنوا لا يسخر قـــوم من قـــوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نســـاء من نســـاء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفســـكم ولا تنـــابزوا بالألقاب بئس الاثم الفســـوق بعد الايمـــان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ (٢) •

ويقول صلى الله عليه وسلم :

« أوحى الى أن تواضعوا ، حتى لا يفخر أحد على أحد » •

---

(١) الأنبيـــاء ٩٢

(١) الحجرات ١٠

(٢) الحجرات ١١

وقضى على حقد الفقير نحــو الغنى ، ففرض لــه نصيبا من ماله ، يقــول تعــالى :

(آمنوا بالله ورســوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيــه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير) (١) ٠

ويقـــــول :

(ان الانســان خلق هلوعا ٠ اذا مســه الشر جزوعا ٠ واذا مســه الخير منوعا ٠ الا المصلين ٠ الذين هم على صــلاتهم دائمون ٠ والذين فى أموالهم حق معلوم ٠ للســائل والمحرم) (٢) ٠

وتوعد الغنى الذى لا يعطى الفقير حقه من هذا المال ، فقال تعالى :

(٠٠٠ والذين يكنزون الذهب والفضــة ولا ينفقونها فى سبيل اللــه فبشرهم بعذاب أليم ٠ يوم يحمى عليها فى نــار جهنم فتكوى بها جباههم وجنــوبهم وظهــورهم هــذا مــا كنزتم لأنفســكم فــذوقوا مــا كنتم تكنزون) (٣) ٠

كما حرم الربا ، حتى لا يتحكم الأغنياء فى رقاب أصحاب الحاجة ٠

ولم يقف الأمر عند هــذا الحد ، بل أراد الاسلام أن يجعل مستوى المعيشة متقاربا بين المسلمين ، فحارب الترف ، يقول الله تعــالى :

(وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين) (١) ٠

بل بين أن الترف قد يؤدى الى هلاك المجتمع ، يقــو ل الله تعالى :

---

(١) الحــديد ٧
(٢) المعــارج ١٩ ــ ٢٥
(٣) التــوبة ٣٤ ــ ٣٥
(١) الأعراف ٣١

(واذا أردنـــا أن نهلك قريـــة أمرنا مترفيها ففســـقوا فيهـــا فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (٢) •

فوجـــوب الزكاة ، وتحريم الاكتناز والتـــرف والربا ، أسس يراد بهـــا رفع مستوى الطبقات الفقيرة ، وخفض مســـتوى معيشـــة الأغنياء ، لتكون الحياة سعيدة بتقاربها وتناسقها •

« فتحريم الترف ، يوجه المـــال الى انتـــاج أكثر فائدة للجميع ، وتحريم كنزها ، يوجب تداولها ، وتداولها من غيـــر ربا ، يؤدى الى المشـــاركة فيها • واذا لم يجـــد النـــاس فى الترف لذتهم وجاههم ، وجدوها فى الاحســـان والبر • واذا لم يجـــدوا فى الكنز ضمانا لهم ، وجـــدوه فى ضمانة المجتمع الاســـلامى المتكافل ، الذى لم يهمل أحدا ، ولم يحتقرا أحدا ، واذا لم يجدوه فى الربا ، وجـــدوه فى لذة الكسب ، والمشـــاركة مع اخوانهم الذين يعملون فى أموالهم » •

ولم تقف هـــذه التعاليم عند حـــد النصوص ، بل طبقها المجتمع الاسلامى فى القديم والحـــديث ، والكتب طافحة بالأمثلة ، التى تؤيد ذلك ، وسأكتفى هنا بسرد مثالين — يتعلقان بموضوعنا — يبينان مـــدى تطبيق التعاليم الاسلامية فى هـــذا المجال ، قديما وحديثا :

الأول : قال المعرور بن ســـويد : « رأيت أبا ذر رضى اللـــه عنه عليه حلة وعلى غلامه مثلها ، فسألته عن ذلك ، فقـــال : ســـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « هم اخـــوانكم ، وخولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخـــوه تحت يده ، فليطعمه ممـــا يأكل ، وليلبســـه ممـــا يلبس ، ولا تكلفوهم من العمـــل مـــا يغلبهـــم ، فان كلفتموهم ، فأعينوهم عليـــه » •

---

(٢) الاسراء ١٦

الثانى : يقول الأستاذ عبد الرحمن عزام فى كتابه « الرسالة الخالدة » :

« وقد شهدت فى بعض الجماعات الاسلامية ، التى احتفظت بتقاليد المسلمين ، تضامنا ، وتكافلا ، لا نظير له ، لا يتمنى المصلح الاجتماعى أحسن منه ، لأية جماعة بشرية • رأيت بعض قبائل (الطوارق) فى شمال افريقية ، يحيون حياة هذا التكافل السعيد ، فليس فيهم من يعيش لنفسه ، وانما لجماعته ، وأفخر ما يفخر به ويعتز ، هو ما يصنع لهذه الجماعة ، وأول ما لفت نظرى لحالتهم هذه ، أن رجلا من أهل الحضر هاجر من الفرنسيين ، ونزل بينهم فى فزان ، فجاورهم وعاش بفضلهم ، ثم خرج يطلب الرزق ، ويريد أن يرد الجميل ، وترك أسرته فى جوار هذه الجماعة الاسلامية ، غير أن النحس لازمه ، ولم يستطع كسبا ، فجاءنا فى (مصراته) ، يستمدنا ، فأعناه ، ليعود الى أهله ، ولكنه عاد الى بعد نحو سنة مرة أخرى ، فظننت أنه رجع من أهله ، فقال : لا ، وانما الآن أستطيع الرجوع الى أهلى ، فقلت : وكيف ذلك ؟ قال : بعد لقائنا الأخير ، اتجرت بما حصلت عليه ، وأصبح الآن فى يدى ما أعود به الى جماعة الطوارق • فقلت : الى أولادك ، أم الى جماعة الطوارق ؟ قال : الى الطوارق أولا ، فهم آووا أولادى فى غيبتى ، وأنا سأكفل أولاد من أجده غائبا منهم ، وأقسم ما أعطى الله بين أولادى وأولاد جيرانى • » •

فقلت : هل تعيش جماعتكم كلها ، كما تعيش أنت مع جيرانك ؟

قال : كلنا فى الخير والشر سواء ، والفضل لصاحب الفضل ، والواحد من جماعتنا يستحيى من جيرانه ، الذين ينتظرون عودته كأهل بيته بسواء بسواء • ليست جماعة الطوارق هذه ، أو أضرابها من أهل البادية ، وسكان القفر مختصة بهذه الروح الجماعية ، ولا هى من مستلزمات عصبيتها ، وانما هى الروح الاسلامية أكثر

ظهورا فى هــؤلاء الذين لا يزالون فى الدســاكر والقرى الاســلامية ، التى لا تزال مطبوعة بالطابع الاســلامى ، ســواء أكان أهلها غربا أم عجما ، بيضا أو ســودا ، فى المشرق أم فى المغرب ، فقد رأيت جماعة المسلمين فى كثير منها ، لا يزالون يحيون حيــاة الخير والتضــامن ، والتكافل والتعــاون على البر •

لا يزالون أقرب الى المجتمع الصــالح ، كما أراده صاحب الدعوة من عشرات الملايين ، الذين فتنوا بالحضارة الغربيــة المــادية ، فهم يعيشــون لأنفسهم ، ولو انقرضت جماعتهم ، ويؤثرون شــهواتهم على البر بأهلهم ، فضــلا عن جيرانهم » •

الحــرية :

يتحدث « الماركسيون » فى دعايتهم فى العالم العــربى عن الحرية السياسية للفرد ، وعن الديمقراطية الشعبية ، ويربطونها بمسألة « رأس المــال » ، اذ يدعــون أن الحرية لا تتحقق الا بســيادة « المبــادىء المــاركسية » فى المجتمع ، لأنهــا تؤمم رأس المــال ، وتنقــل ملكيته للدولة ، وبذلك تحرر العمال والأجــراء — فى الأراضى الزراعية — من سيطرة أصحاب رؤوس الأمــوال والاقطاعيين ، فيصبحوا أحرارا فى الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات العامة •

اذا ، فالمــاركسية ترى أن أصحاب رؤوس الأموال ، والاقطاعيين هم وحــدهم الذين يستعبدون الشعب ، فيسخروه ، ويجندوه بالسياط ، وفى ذلك اهــدار لكرامته الانســانية ، ويجبروه بشتى أساليب القوة ، الى الادلاء بصــوته لمن يريدون •

فهم الأعــداء الحقيقيون للشعب •

أما الدولة فى النظــام « الماركسى » — حيث آلت الملكيات اليها :

فهى الأب الحنون الأعلى للمجتمع •

وهى صاحبة العدالة الاجتماعية •

وهى الراعية للكرامات والقيم الانسانية •

وهى الضامنة ، والمتكفلة للجميع بحياة أفضل ، وحرية غير مقيدة •

ولكن واقع المجتمعات الشيوعية يخالف ذلك ؛ اذ عندما تحولت الملكية الخاصة الى ملكية عامة ، وأصبحت الدولة هى المالكة ، انتقلت صلاحية التصرف فى المال الى حفنة قليلة ، هم أعضاء اللجنة المركزية فى الحزب •

فكيف تصرفت هذه الحفنة فى مال الأمة ، التى اغتصبته من الأفراد ، ووضعته تحت يدها ؟

وضح الانحراف فى هذا التصرف وضوح الشمس ، فقد أنفق المال على « شلل المحاسيب » ، فى متعهم فى القصور ، والرحلات ، وفى الترف من كل الألوان ، وعلى الأفاقين والمنافقين ، وعلى أجهزة المخابرات ، لتصيد المعارضين للنظام ، وعلى القوات المسلحة ، لاتخاذها وسيلة للبطش بمن تسول له نفسه معارضة السلطة الحاكمة •

فأين هى — اذن — الحرية التى يدعيها الماركسيون ؟

نشر « النظام الماركسى » الرعب والخوف لدى الأفراد ، حتى أصبح الانسان لا يطمئن الى صديق أو أخ ، فأجهزة المخابرات — التى يصرف عليها من أموال الشعب — جندت الصديق للتجسس على صديقه ، والأخ على أخيه ، والابن على أبيه • يروى « ليونهارد » أن صديقه له ، جندتها المخابرات ، للتجسس على زملائها ، وروت له ذلك ، بعد أن أخذت منه العهد والميثاق بألا يبوح بهذا السر ، قائلة :

« أنا أعمل مع المخابرات العامة ، فمنذ بضعة أيام طلبونى ،

وأجبرونى علي التوقيع على ورقـــة مكتوب فيها أننى مستعدة أن أزودهم بالمعلومات ، التى يطلبونها ، وألا أقـــول لأحد شيئا عن مهمتى •

والآن ! أنا مكلفة بكتابة تقـــارير بصفة مستمرة عن بعض طلبـــة معينين ، ولن أوقع على هـــذه التقارير باسمى الحقيقى ، بل باســـم مستعار ، معروفة به عندهم فى مجال هـــذه المهمة •

— عن أى شىء تكتبين تقاريرك ؟ •• عن الكلام ضد الحزب ؟

— ليس هـــذا فقط ، فهـــذا قليل نسبيا !! بل مكلفة بالكتابة عن « كل شىء » يصـــدر من الأشخاص ، الذين سموهم لى ، ســـواء تتعلق بالسياسة مباشرة ، أو بطريق غير مباشر •

نظرت فى عينيها ، فلاحظت أنهـــا حزينة جـــدا ، حزينة لأنهـــا لم تعد تستطيع التحدث معى بصراحة ، ذلك الحـــديث ، الذى كان يخفف عنها كثيرا من الآلام النفسية ، ولم يكن هـــذا هـــو السبب الوحيد فى حزنها ، بل بدا أيضـــا — بصفة خاصة — أنهـــا متضايقة نفسيا ، لأنها أجبرت على العمل مع المخابرات العامة ، وقـــد أحسست هذا بوضوح • ولكن عندما أفصحت لى عن كل ما فى نفسها ، علمت أنهـــا لم يكن لهـــا أن تختار طريقا آخر ، لو رفضت العمـــل مع المخابرات العـــامة ، لأثارت الشكوك حولها ، ولربما ترتب على رفضها القبض عليها ••• ثم قررت — ابتداء من اليوم — أن أكون أشـــد حرصـــا من ذى قبـــل ، وأن ألتزم « الخط » التزاما دقيقا فى كل المحـــادثات ، واذا أمكن فلأحاول تغيير مجرى الحـــديث ، بعيدا عن الموضوعات السياسية ، وطرق المجالات ، التى لا تمس هذا الموضوع من قريب أو بعيد » •

هذه هى الحرية فى المجتمع الشيوعى ، فى الاتحاد السوفييتى ! !

* * *

أما الاســلام فقد كفل حرية الانســان فى العقيدة :

« لا اكراه فى الدين قــد تبين الرشــد من الغى » (١) •

وشرع حماية أرباب الملل الأخرى ، الذين يعيشــون فى المجتمع الاسلامى ، وألزم المسلمين أن يقاتلوا لحماية حرية العقيدة ، وقدســية أماكن العبادة لمن دخلوا فى عهدهم وجوارهم من أهل الكتاب •

كما كفل الحرية السياسية ، والحرية الفكرية ، والحرية المدنية ، وخطا بها خطوات ، لا تزال الحضارة الحديثة متخلفة عنها •

ولا يزال التاريخ يحدثنا عن أمثلة كثيرة ، وقعت فى عهــد الخلفاء الراشدين ، وحتى فى العهود التى تلت عصرهم ، بعد أن تحولت السلطة الى ملك عضوض ، فقــد كان المســلمون فى أيام عمر بن عبد العزيز ، يناقشــون فى حضرته استحقاق بنى أمية للملك والخلافة ، وكذلك روى أنه كان يجرى فى مجالس المأمون نقاش حول بيت الخلافة ، وأحقيته بها •

امتدت جذور الحرية فى المجتمع الاســلامى ، فلم يضطهد أحــد ، نظر فى الكون ، واستنبط نظرية من النظريات ، فكانت الحرية العلمية مكفولة لغير المسلمين : من صابئــة ، ومجوس ، ونصــارى ، ويهود ، يقولون ، ويكتبون ما يشاؤون ، شــأنهم فى ذلك شــأن المسلمين • ولم تتدخل الــدولة ، فتمنع مفكرا من ابداء رأيه ، الا خشــية الفتنة على المجتمع ، أو كان تهديدا لأمن الدولة •

الوعــد بفــد أفضــل :

تجاهر أبواق الماركسية فى البلاد العربية ، بأن الشــيوعية ســوف تحقق رفع مستوى المعيشــة ، اذا ما طبقت ، كنظــام للحــكم ، رغم

---

(١) البقـرة ٢٥٦

أن التجربة أثبتت أنهـا لم تأت الابزيادة فى الحرمـان ، ونقص فى مـوارد الدولة ، ظهرت آثاره فى الخدمات العامة ، وعجـز أجهـزة الدولة الادارية والانتـاجية ، وتوقف الطاقات البشريـة ، فتوقف ركب الدولة عن مسـايرة التقدم العلمى الحـديث ، بل تقهقر الى الوراء ، والأدلة واضحـة على ذلك ، اذ يكفى المرء أن يقيم أياما فى البـلاد العربيـة ، التى حاولت تطبيق مبادىء « ماركس » ، فسـوف يرى معالم المحـاولة بادية على وجـوه شعبها ، فقد اختفت الابتسـامة ، وحل محلها الاكتئاب ، من شـدة وطأة الفاقه ، والحرمان .

ومن الغريب أن « المـاركسيين » يعللون فشـل التجربـة ، بأن القائمين على تنفيذهـا ، لم يكونوا على مسـتوى المسئولية ، وهـذه خدعـة أخـرى ، يراد بها تضليل جماهير المسـلمين مـرة أخـرى ، فالشيوعية لم تحقق « الغد الأفضل » ، الذى وعدت به جماهير العمال فى أى بلد فى العالم ، فها هو ذا الاتحاد السوفييتى « رائد الماركسية » ، لم يستطع تحقيق رفع مستوى العمال ، كما وعـدت الدعاية الشيوعية ، اذ لا زال مستوى العامل السوفييتى أقل من مستوى زميله فى البـلاد الرأسمالية ، بل ان حالة بعض العمال فى روسـيا ، لا تختلف عن حالته فى عهود ما قبل الثورة البلشفية ، يصف « نيونهارد » جانبا من حيـاة البؤس هنـاك ، فيقول :

هـذه هى « كاراجندا » ، مدينة يسكنها ربع مليون نسمة ، مركز الصناعة الذى أقيم فى الخطـة الخمسية الأولى ! ! محطـة السـكك الحديدية صغيرة ، مبنية بالخشب ، وقذرة ... وعندمـا خرجت من المحطة ، رأيت شارعا ملتويا قذرا ، غير مرصوف ، ومنازل صغيرة آيلة للسقوط ، والجو رمادى قاتم ، مملوء بغبار الفحم ، ولا يستطيع المرء أن يتنفس تنفسا عاديا فى هـذا الجـو . سرت فى الشـارع كالمضروب من هول المفاجأة ، فما لا شـك فيه أنى رأيت فى موسكو فقرا ، كذلك رأيت عددا من المدن الصناعية المتوسطة أثناء اقامتى فى الاتحاد السوفييتى ، ولكنى لم أشاهد حتى اليوم مناظر مؤلمة مثل ما رأيت فى هذه المدينة ...

وبعـــد بضع دقائق من مغادرتى المحطة ، اكتشفت كهوفا تحت الأرض (تستخدم للوقاية من البرد) ، مغطاة بورق الكرتون ، أو الخشـــب ، وبعضها كان سقفها قشرة أرضية ، لا يتجاوز سمكها نصف متر تقريبا ، واقيمت هذه السقوف على أعمدة • كان منظرا مرعبا !!

وكلما رأيت مناطق أكثر فى هـــذه المدينـــة ، كلما ظهر لى عـــدم استطاعتى المقام بهـــا ، فلا يوجـــد بها معاهد عليا ، ولا معاهد صناعية ، وليس بها سوى كهوف تحت الأرض ، ومنازل من الخشب آيلة للسقوط ، وبعض المنـــازل المقبولة نسبيا ، انتشرت هنـــا وهنـــاك ، وتتخـــذها الادارات مقرا لها • ولم يبـــد لى واضحا — فى يوم من الأيام اطلاقا — الفرق الشاســـع بين أكـــواخ المـــواطنين ، التى يخيم عليهـــا البؤس والحرمان ، وبين هذه المبانى الحكومية ، الجميلة المبنية من الحجـــارة ، والتى تتكون من عـــدة طوابق ، وضوحـــه فى هـــذا اليوم ، ثم اكتشفت حافلة « أتوبيســـا » جـــديدة ، ســـارت بى عبر أحياء ، هى **تجســـيم للفقر والتعاســـة »** •

ثم بعد أن يرى الحيـــاة على الجانب الآخر ، حياة الترف والنعيم ، التى يعيشها قادة الحزب فى أحـــد فنادق الدولة ، يقول :

« ••• وبدا التباين شاسعا بين الجـــو فى هـــذا الفندق ، وبين الأحياء القديمـــة فى « كاراجندا » والأكواخ المبنية بالطين للاقطاعيين المنفيين ، **ولا يمكن لعقـــل تصـــور امكـــان وقوعـــه ، لو لم يـــره فى الاتحـــاد الســـوفييتى »** •

لن يزول الفقر والجـــوع ، الذى تقاســـيه الشعوب التى يحكمها انتظام المـــاركسى ، الا بزوال هـــذا النظام ، لأنهما متلازمان ، فحيثما وجـــد الحكام الشيوعيون ، وجـــد معهم الحرمان ، وينبغى ألا نخـــدع بتحليل أبواق الدعاية « المـــاركسية » : بأن ذلك ظرف طارىء سيزول ، أو أن الظروف الدولية كانت السبب ••• أو ••• أو ••• أو •• الخ ،

لأن حرمان جماهير الشعب من طبيعة النظام نفســه ، وليس من شىء خارج عنه ، يقول « ليونهارد » :

حاولت الدعاية الســوفيتية — ولا زالت — اقناع الشعب : بأن فقره وجوعه — أثناء الحرب — نتيجــة للنظام النــازى ، الــذى شــن حربا على الاتحــاد السوفييتى ، بينمــا الوضع بالعكس ، حسبما جاء فى بعض تحليلات الأسرى الألمــانيين ، **فقد نسبوا فقر هــذا الشعب الى طبيعة النظام الســوفييتى ، وهــو موجــود وسيظل ، ولو لم تشن حرب على هــذه الدولة »** •

ولاء المــاركسيين :

يدين « الماركسيون » فى العالم بالولاء التام للاتحاد السوفييتى — أو للصين — ، لأنــه عنصر من عنــاصر دراستهم للمــاركسية ، ففى روســيا مدارس خاصة ، يتعلم فيهــا شــباب من جميع أنحــاء العالم **مــواد عامة وهى :**

— تاريخ الحزب الشيوعى الروسى •

— المــادية التاريخية الجــدلية •

— تاريخ الشــيوعية العالمية •

— النظريات الاقتصــادية •

— ومواد خاصة ، حيث ينفرد طلبة كل اقليم بدراستها •

— تاريخ الحركة الوطنية فى بلادهم •

— المشكلات الاقليمية ، سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية ••• أو ••• أو ••• الخ •

هذا من الناحية النظرية ، ثم يشترك جميع الدارسين للتدريب على :

تشكيل الجمعيات السرية ، وأوجه نشاطها ، من طبع منشورات وتوزيعها ، حتى استعمال القوة المسلحة ، للاستيلاء على السلطة •

وبعد أن يتخرج الطالب ، يرسل الى بلده ، لينضم الى التنظيم الشيوعى السرى ، ولكنه — مثله فى ذلك مثل غيره ، ممن سبقوه على هذا الدرب — يظل دائما مرتبطا بالاتحاد السوفييتى ، فى جميع تصرفاته ، يناصر سياسته ، ويبرر مواقفه الدولية ، ويتحرك طبقا لتعليمات موسكو • يقول شيوعى سابق ، معقبا على مناهج تلك المدرسة :

وهكذا أنتج « الاتصال بين النظرى والعملى » هدفا مزدوجا ، ففى الناحية الأولى وجهنا لاستعمال معلوماتنا النظرية فى البلد الذى سنعمل فيه فيما بعد ، وفى الناحية الأخرى تحولنا بطريق الالزام — ليس فقط نتيجة لدراسة التاريخ السوفييتى ، بل أيضا نتيجة لمناقشة الأحداث فى الاتحاد السوفييتى ، والى تفسير موقف الاتحاد السوفييتى الأحدلث فى لاتحاد السوفييتى ، والى تفسير موقف الاتحاد السوفييتى من الأحداث العالمية ، والدعوة له ، والدفاع عنه » •

ان الشيوعى لا يتحرك فى بلده من تنقاء نفسه ، بل تحركه موسكو ، فهو قطعة شطرنج يحركها اللاعب ، وهو هنا زعماء الحزب فى موسكو — أو الصين — ، وقد صرح بهذا الوصف أحد زعماء الشيوعيين فى ألمانيا الشرقية لـ « ليونهارد » أثناء حوار دار بينهما حول ربط ألمانيا الشرقية بعجلة الاتحاد السوفييتى، وكان « ليونهارد » يرى أن العلاقة ، يجب أن تقوم على أساس المساواة بين الدولتين ، لا على أساس تحكم الاتحاد السوفييتى فى مصير ألمانيا الشرقية ، واتخاذه موقف الآمر ، وألمانيا الشرقية موقف المنفذ ، دون اعتراض :

« ••• فلنقف على أرض الحقيقة العارية ! ما معنى المساواة

هنا ؟ أعرنى انتباهك ! فالنضال الذى انتشر فى العالم ، هـو بكل أبعاده لعبة شطرنج كبيرة •• وأشار بيده الى لوحة الشطرنج •

يوجد أبيض وأسـود على هذه اللوحة ، ويواجه اللاعبان ، أحدهما الآخر بأشكال مختلفة من قطـع الشطرنج ، تختلف فيـه كل قطعة ، باختلاف شكلها ، وطريقة حركتهـا على اللوحـة ، ولكن تحريك هـذه القطع لا يمكن أن يكون الا من المركز ، وهـذا المركز هـو موسـكو فقط ••• يجب أن نقترب من الموضوع مجردين من أى اتجاه ••• هل لاحظت مرة شيئا خاصا فى سمات الاتحـاد السـوفييتى ، واتحـاد الجمهوريات السـوفييتية ؟ » •

لم أفهم بسرعة ماذا يريد بهذا السـؤال ، (ثم استطرد الزعيم الشيوعى يقول) : لا يظهر مفهوم روسـيا هـذه السـمات ، وليس هذا من باب المصادفة ، وبهذا مهد الطريق للبلاد ، التى تتحول فيمـا بعد الى اشتراكية ، للانضمام لهذا الاتحـاد •

هل تعتقد أننا — اذا وصلت البلاد الديمقراطية الشعبية ، وفيمـا بعـ المنطقة الألمـانية أيضا الى أسس الاشتراكية — نستطيع أن نعيش كدولة مستقلة ، لا ترتبط بالاتحاد السوفييتى ؟ » •

هـذا هو هـدف الماركسيين ، تسليم بلادهم — بعد الاستيلاء على السلطة — الى موسكو ، لتكون احدى الجمهوريات السوفييتية ، وليس هـذا التصريح من ماركسى صغير ، بل من زعيم أصبح رئيسـا لجمهورية ألمـانيا الديمقراطية فيمـا بعد • أيمكن بعد هذا أن ينخـدع بالدعاية المـاركسية انسـان له عقل يفكر به ؟

* * *

خاتمـــة

يقف المجتمع الاسلامى اليوم ــ فى جميع أقاليمه ــ على مفترق الطرق . يلتقط أنفاســه من هــول الطريق ، الذى قطعه على مــدى المــائة ســنة الماضية ، حيث تجاذبته تيارات أقضت مضاجعه ، فلم تترك له فرصــة البنــاء والتعمير ، وأهلكت أعصابه ، فلم يعد يقوى على التفكير بموضوعية فيمــا يعرض عليــه من « أيديولوجيات » ، ولم يستطع الاحتفاظ بمــا عنده من عقائد وعبادات ، فتهاون فيهــا وأهملها ، أو أولها فألغاها ، أو أداها عادة وتقليدا ، فصارت :

ــ صــورة لا حياة فيهــا .

ــ ومصــدرا للرزق والتكسب ، لا عقيدة يدافع عنهــا بالروح والمــــال .

ــ ووسيلة يخــدع الحكام شــعوبهم بالتظاهر بهــا ، لا منارة يسير على هديهــا رجال السلطة .

وأسلوبا يختفى وراءه الدجالون ، والمنافقون .

ــ ولباســا يرتديه « المــاركسيون » (١) ليدنسوه ، كى يمزق الحكام ما بقى من خيوطه ، فتقتلع الجــذور الباقية ، فلا يجــرؤ أحــد على الجهر بالدعــوة الى الله .

---

(١) دفع الماركسيون ــ ولا زالوا ــ ببعض اعــوانهم المجهولة هويتهم المــاركسية الى التظاهر بالاصــلاح الدينى ، فالتف حــولهم بعض الشــباب المخلص الســاذج ، وسرعان مــا استغلوا سذاجتهم وحميتهم الاســلامية ، فدفعوهم الى ارتكاب حماقات ، لا يقرها الاســلام ... فانتكست الدعــوة المرة تلو الأخرى ، وذلك أسلوب يتبعه الماركسيون فى القضاء على خصومهم .

يقف المجتمع الاسلامى اليوم مذهولا ، من كثرة الأصوات التى تناديه ، يحاول :

● تحديد المعالم ، فيعجز فكره ٠

● وتمييز الأصوات ، فيكل سمعه ٠

● ورؤية ملامح حاملى أعلام « الأيدلوجيات » ، فينقلب اليه بصره خاسئا وهو حسير ٠ وفى لحظة يأس ، يبحث عن الداعين الى المبادىء ، التى جربها فى الماضى ، فأسعدته وأعزته فيراهم ، ولكن نفسه تنفر من كثير منهم ، لأنهم :

● يتحدثون بلغة لا يفهمها ، وأسلوب لا يتفق وطبيعة العصر ٠

● ويرفضون استمال أساليب الاعلام الحديثة — كالمسرحيات ، والأفلام ، وغيرهما من أنواع الفن الأخرى (١) — فى الدعوة الى الله ، فتركوا هذا المجال — وهو مجال خصب ، بل انه احدى وسائل العصر الحديث الأساسية ، لتعميق العقائد فى المجتمع — لأصحاب التيارات ، والمذاهب المناهضة للدين ٠

● لم يدرسوا المذاهب الالحادية المعاصرة للرد عليها ، فجاء حديثهم عنها — ان استطاعوا الحديث — منفرا للشباب المثقف ، بل سلاحا فى يد الداعين الى الالحاد ٠

---

(١) بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وتمخضها عن انقسام العالم الى معسكرين متقابلين : أحدهما شيوعى ، والآخر راسمالى ، رأى المسئولون فى المجتمع الغربى : ان من انجح الوسائل فى صد التيار الشيوعى عن الشباب ، وتوجيه أهل الفن الى اخراج سلسلة من الأفلام الدينية ، التى توجه الشباب الى ناحية الدين — بطريق غير مباشر — ، فأخرج أهل الفن أفلاما دينية ، يضرب بها المثل فى عالم الفن ، سواء من حيث الفكرة ، أو من حيث الاخراج ، أو من حيث التكلفة ، وكانت الكنيسة تدعم هذا الاتجاه ، لأنها رأت فيه وسيلة عصرية ناجحة ، لتعميق الروح الدينية فى المجتمع ٠

● وأهملوا دراسة التيارات السياسية العالمية ، ومقتضيات العصر على الصعيد الدولى ، فأبعدوا عن ساحة اتخاذ القرارات ، التى تحدد مصير الأمة ، فاهتز مركزهم ، كمصدر للتوجيه فى المجتمع .

● يعيشون عيشة لا تليق بكرامة الداعية ، فاهمالهم فى ملبسهم ، ومسكنهم كان — ولا زال — سببا فى اتخاذهم أضحوكة فى المجالس ، والمتنديات ، وشخصية فكاهية ، لاضحاك المشاهدين فى الأفلام ، والتمثيليات .

وازاء هذه الظروف التى يمر بها المجتمع الاسلامى ، يجب على المعاهد التى تخرج الدعاة ، أن تعيد النظر فى اختيار دعاة المستقبل ، فتأخذ فى الاعتبار — بجانب الناحية الروحية — حسن المظهر ، ورتابة الملبس ، ودبلوماسية السلوك ، وأن تعدل مناهجها ، فتدخل فيها من المواد :

● ما يهىء الداعية لمواجهة « الأيديولوجيات » الحديثة ، ولن يكون ذلك الا بدراسة جوانبها : الفسفية ، والتطبيقية .

● وما يجعله قادرا على شرح الاسلام بلغة العصر فى جميع المحافل ، سواء كانت دولية ، أو محلية .

● وأخيرا : أن تكفل له مستوى ماديا ، يساعده على الظهور فى المجتمع بمظهر لائق .

والله الهادى الى سواء السبيل ..

ولن يضيع الله أجر من أحسن عملا .

كما وعد المؤمنين بذلك فى كتابه الكريم فقال تعالى :

« ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » (١) .

صدق الله العظيم

---

(١) التوبة ١٢٠

أهـم المراجـع

- أفيـون الشعوب : الأستاذ عباس العقاد .

- ذاتية الاسلام أمام المذاهب والعقائد : الأستاذ محمد مبارك .

- الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمـار الغربى : الأسـتاذ الدكتور محمد البهى .

- تهافت الفكر المادى التاريخى : الأستاذ الدكتور محمد البهى .

- الرد الجميل للامـام الغزالى ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز عبـد الحـق حلمى .

- الرسالة الخالدة : الأستاذ عبد الرحمن عـزام .

- تجديد المذاهب الفلسية والكلامية : الدكتور محمد عاطف العراقى .

- الفلسفة أنواعها ومشكلاتها : (دكتور هنتر ميـد) ، ترجمة : الأستاذ الدكتور فؤاد زكريا .

- نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام : الأستاذ الدكتور على سـامى النشـار .

- الله فى الفلسفة الحديثة : « جيمس كولينز » ، ترجمة : فؤاد كامل .

- الله والكون : الدكتور محمد جمال الدين الفندى .

- الاسلام قـوة الغد العالميـة : « باول شمتز » ، ترجمة : الدكتور محمد شامة .

— حقائق عن نظام الحكم الشيوعى : « فولف جانــج ليونهــارد » : ترجمة : الدكتور محمد شـــامة ٠

— بين الاسلام والمسيحية ، (كتاب أبى عبيدة الخــزرجى) ، تحقيق وتعليق : الدكتور محمد شـــامة ٠

Mensching : Die Religion

Mensching : Soziologie der Religion.

W. Leonhard : Die Revolution entlasst ihre Kinder

Tiele : Einleitung in die Peligionswissenschaft.

Carsten Colpe : Handbuch der Religionsgeschichte.

فهرست الكتاب

الانتاج العلمى

للأستاذ الدكتور محمد شــامة

* بين الاســـلام والمسيحية (تحقيق) .
* بحوث فى عالم الأديان .
* الاسلام قوة الغد العالمية (مترجم من الألمـــانية) .
* الاسلام فى الفكر الأوربى (عرض وتحليل لكتاب الاسلام قـــوى عالمية متحركة) .
* الخطر الشيوعى فى بلاد الاســـلام .
* أثر البيئة فى ظهور القاديانية .
* الاســـلام كما ينبغى أن نعرفه .
* الاســـلام دين ودولة .
* فى رحاب القرآن .
* الاســـلام طهارة ونقاء .
* حقائق عن نظام الحكم الشيوعى (مترجم من الألمـــانية) .

رقم الايداع بدار الكتب ١٨٩١/١٩٧٨

ويطلب من :

مكتبـــة ثـــــامة

القـــــاهرة

ت ٢٤٩٥٧٨٣